د.أحمد قرني محمد شحاتة

لعبة الطائر العجوز

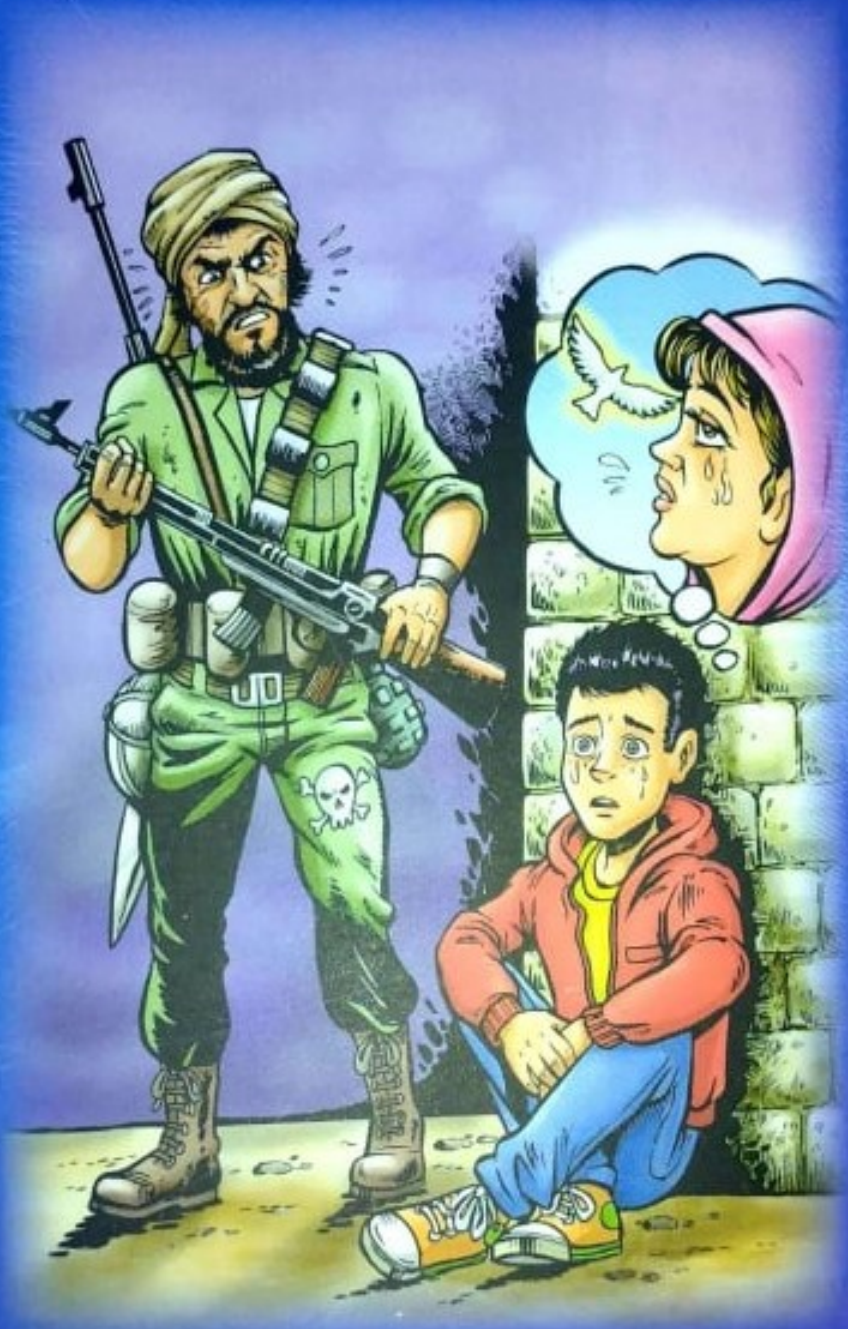

الجائزة العربية مصطفى عزوز لأدب الطفل

الدورة العاشرة – تونس 2019

ATB

ملتقى أدب الطفل

د. أحمد قرني محمد شحاتة

لعبة الطائر العجوز

منتدى أدب الطفل - تونس

الجائزة العربية مصطفى عزوز لأدب الطفل

الدورة العاشرة - تونس 2019

عنوان الكتاب : لُعبةُ الطائرِ العجوزِ

النوع : قصّة

المؤلف : د. أحمد قرني محمد شحاتة

عدد الصفحات : 152

صورة الغلاف : إبراهيم الدريدي

تصميم وطباعة : مطبعة تونس قرطاج

نهج عدد 8601 رقم 40 – الشرقية I

الهاتف : 606 770 71 – 774 770 71

الفاكس : 015 770 71

تاريخ الطباعة : أفريل 2019

متابعة مطبعية : الحبيب بن فضيلة

إعداد وإشراف : منتدى أدب الطفل

جميع الحقوق محفوظة لجائزة مصطفى عزوز لأدب الطفل

الترقيم الدولي 978-9973-0970-3-3

تمّ طبع هذا الكتاب بدعم من البنك العربي لتونس

أصدقائي..
لكى تلعبوا لعبةَ أمير
ستحتاجون إلى تمارين الحب
لا إلى تمارين القسوة.

عالم أمير

أفلام الحركة.. الحديث عبر الماسنجر.. تصفُّح الفيس بوك.. ألعاب الإنترنت.. اليوتيوب.. أفلام الخيال العلمى الرائعة.

هذه هى مفردات حياةِ أمير طالب مدرسةِ "نور المعرفة"، حيث يقضي الساعات الطويلة على الفيس يتابعُ أصحابه وينشرُ رسائله "بوستاته" عن شخصياته المحبوبةِ فى عالمِ كرةِ القدمِ: "ميسي" و"محمد صلاح".. وغيرهم من نجومِ العالم، ويبحثُ فى جوجل عن الجديدِ، كما يفتحُ اليوتيوب ليشاهدَ أفلام الحركة والإثارة "الأكشن"، ثم يقضي وقتًا فى اللعبِ على الإنترنت، معاركٌ لا تنتهى بينه وبين أمه لأنّها تراه يُضيعُ وقتًا طويلاً على الإنترنت بينما يصرخُ أمير غاضبًا..

- إنَّه عالمى الذى أحبه.

حتى أفكاره التى يراها البعضُ مجنونةً ويراها أمير أفكارًا معقولةً لأنّها تخصُ جيله وعصره، أمير كان يرددُ دائمًا حين تنزعجُ أمه من تصرفاته المجنونة:

- ماما لكل جيل أدواته وأفكاره.

كانت الأم تُدركُ أن أفكاره التى ينشرها على صفحةِ الفيس بوك أو على تويتر ربما تسبب له مشكلات كثيرة، كان آخرها قرار فصله من "نور المعرفة".. مدرسته التى يحبها، كانت الفكرةُ المجنونةُ التى فكر بها وكتبها على صفحته على الفيس بوك وراء فصله.. منذ ذلك المنشور "البوست" الذى وضعه على حائطِ صفحته والأمور تتداعى بلا أى

ترتيب، زملاؤه تحمسوا لفكرته إلى حدِ أنَّ الإدارةَ التعليميةَ انزعجت مما كتبه أمير.. وقررت إدارةُ المدرسةِ فصله لمدةِ أسبوعين، أسبوعان من الملل والضيقِ والزهقِ سيقضيهما أمير داخل غرفةٍ صغيرةٍ فى منزله.. ماذا عليه أن يفعلَ ليقضى على الملل؟

اليوم لم يصدق أمير حين هاتفه الأستاذ مجدى الأخصائيّ الاجتماعىّ وأخبره أن يحضرَ غدًا مبكرًا إلى المدرسةِ، وحين تعجَّب أمير وراح يُذكّرُ الأستاذ مجدي بقرارِ الأستاذ مراد عبد المنعم مدير المدرسةِ بفصله ومنعه من دخولِ المدرسة.. صمت الأستاذ مجدى بضع دقائق ثم أخبره بصوتٍ هادئٍ أنّ قرارَ الفصلِ تم إلغاؤه ويمكنه العودة غدًا. صمت أمير لثوانٍ من هولِ المفاجأةِ السارةِ ثم راح يتقافزُ فى مكانه وهو يمسكُ بالهاتفِ، ثم دوى صوته عاليًا ينادى على أمه ليخبرها، وكانت مشغولةً فى إعدادِ الطعامِ فى مطبخها. كلمات الأستاذ مجدى التى سمعها توًّا تُنبئ بشيءٍ لم يفهمه، كان غامضًا فى حديثه حين أخبره بضرورةِ حضوره طابور الصباح غدًا، كرر ذلك مرات قبل أن يُغلقَ الهاتف. تردد أمير قبل أن يسأله عمّا سيحدثُ غدًا فى طابورِ الصباح، وأمام فضولِ أمير لمعرفةِ المزيد وإلحاحه المتكرر.. اعتذر الأستاذ مجدى لأمير وأغلق الهاتفَ سريعًا، ربما لا يُريدُ أن يُفشي سرًّا.. وربما لا يعرف أكثر مما قاله، هز أمير رأسه وقال: لا يهم، المهمُ أننى سأعودُ إلى المدرسة غدًا.

طار أمير من الفرحةِ بقرارِ عودته إلى "نور المعرفة"، قفز فى الهواءِ عدةَ مراتٍ ورقص وارتفع صوته وهو يغنى "ون آند أونلى"، وفتح اللاب توب سريعًا وأدار الأغنيةَ ليرددها بصوتٍ عالٍ وجسده يهتزُ على وقع موسيقى الأغنيةِ الحماسيةِ، وكتب على صفحته على الفيس:

"أصدقائي.. موعدنا غدًا فى طابورِ الصباحِ بالمدرسة"

توالت التعليقاتُ من زملاءِ أمير على "البوست"، كانوا فرحين بإلغاءِ قرارِ الفصلِ وعودةِ زميلهم، انهالت التعليقاتُ على العامِ والخاصِ لمعرفةِ ما جرى.. وكيف أُلغى قرار الفصلِ فجأةً هكذا دون سببٍ؟ ولم يكن لدى أمير أى شيءٍ ليقوله سوى القفزِ فى الهواء.

لم يتوقع أحدٌ أن تلغى الإدارةُ قرارَ فصل أمير بهذه السرعةِ، لابد أن هناك سببًا لا يعرفه، خرج أمير من غرفته سريعًا، كان يبحثُ عن أمه ليخبرها، وجدها واقفةً فى المطبخ تُعد طعامَ الغداء، وقف خلفها منفعلاً يتمتمُ بكلماتِ الأغنيةِ على وقعِ موسيقاها البعيد، لم تتبين الأمُ الكلمات لكنها كانت مفردات السعادةِ، ما أجمل أن تعودَ لأصحابك ومدرستك وفصلك، هى لحظةٌ عبَّر عنها أمير بطريقته الخاصةِ حيث القفز فى الهواءِ والغناء بصوتٍ عالٍ. اندهشت الأمُ لتقاسيم وجهه التى انفرجت، منذ فترةٍ ليست قصيرةً وأمير يجلسُ منعزلاً فى غرفته.. ربما لا يبرحها سوى ساعاتٍ قليلة، أول مرةٍ تراه مبتهجًا منطلقًا، ما الذى جرى ليجعلَ أمير هكذا؟ تركت الأمُ شواغلها وأمسكت بالمنشفة، احتضنت أمير سعيدةً وذهبت به إلى الصالة، جلسا سويًّا على أريكة "الأنتريه" وسألته عمّا حدث وجعله سعيدًا ومبتهجًا هكذا على غير عادته فى الأيامِ الماضية، مال على رأسها ووضع قبلةً، الدهشةُ تملَّكت الأم لهذا التغير الطارئ لحالِ ابنها، أمير كان عازفًا عن كلِّ بهجةٍ، متقوقعًا فى حجرته، يرفضُ حتى مقابلة زملائه الذين أتوا لزيارته، والآن تابعت قفزاته فى الهواءِ مندهشةً، حكى لها أميرُ عن اتصال الأستاذ مجدى به منذ قليلٍ، احتضنته سعيدةً وقالت:

- يبدو أن غدًا سيحملُ لك مفاجآتٍ سارّة.

- سأذهبُ لأجهز كل شيءٍ استعدادًا للغد الذى أنتظره بفارغ الصبر.

ـ انتظر لدقائق حتى نتناول الغداء سويًّا.
ـ حقًّا.. إنى جائعٌ جدًا.
أمير كان يعرف كيف وقفت أمه تسانده طوال فترة فصله من المدرسة، لم تدعه ليأسه وانهزامه لحظةً واحدةً.. مثلما فعلت والدة "توماس أديسون" المخترع الشهير.. حينما ساندت صغيرها فى محنته.
عادت الأم إلى المطبخ لتكملَ إعداد طعامها، ربما شعرت بالقلق، بدت غير مصدقة، هل ما سمعته من ابنها حقيقةً أم مجرد أوهام يرددها؟ أمير كان مكتئبًا، فى الأيام الماضية فقد شهيته للطعام، وحتى الجلوس أمام الكمبيوتر كان عازفًا عنه، يُغلق هاتفه طوال الوقت.. وحين يفتحه لا يرد على زملائه وهم يتصلون به ليطمئنوا عليه، ظل أحمد وشريف وجودى يتصلون به.. لكنه ترك رنين الهاتف يتصاعدُ حتى ينتهى دون ردٍّ، وحين دخلت حجرته وجدته يحدّقُ فى سقفِ الحجرةِ والهاتف إلى جواره يرن، ورسائلُ أصدقائه على "الشات" تتوالى، طلبت منه أن يردَّ ليطمئن أصحابه، التفت أمير ناحية أمه بصعوبةٍ:
- لا ياماما، لا أريدُ أن أردَّ على أحدٍ أو أكلم أحدًا.
عبقرينو الفتى المحبوب المتفوق فى دراسته، عبقري الكمبيوتر كما يطلقون عليه، صار ولدًا آخر بمجرد فصله من المدرسة، كان يحبُ "نور المعرفة" والآن هو بعيدٌ عنها وعن فصلِه وعن زملائه منذ نشر ما نشره على صفحته على الفيس بوك وهو يمر بتجربةٍ صعبةٍ، "التجاربُ الصعبةُ نتعلمُ منها ونستفيدُ".. هذه هى مقولةُ أبيه التى يرددها عليه كثيرًا. تخشى الأمُ أن يكون ما ردده على سمعها منذ دقائق مجرد هلاوس، ماذا تفعلُ لتتأكد؟ الريبة والشك تحومان حول رأسها، لن يكونَ الأمرُ مزحةً، أمير تغيّر حاله منذ سمع الخبر، الابتسامةُ لا تغادر

شفتيه وعلى وجهه سرور الرابح السعيد، بدأ يُعد حقيبته المدرسية، طالع جدول الغد وبدأ فى ترتيب الحقيبة، فتح أمير بابَ حجرته ورفع صوته ليكلم أمه:

- ماما.. ما رأيك عندما أعود غدًا سأحكى لأصدقائي الحكاية، تلك الحكاية التى غيّرت حياتى كلها؟

- طبعا لا يجب أن يبخل الصديقُ على أصدقائه بما يسعدهم ويغير حياتهم إلى الأفضل.. كما غيرت حكاية الطائر العجوز حياتك.

- أنا جائع جدًا، أين الطعام يا ماما؟

- حالاً.

"الفيس" مشتعل

منذ شهرٍ مضى.. حين نشر أمير "البوست" العجيب على صفحته والتعليقات على العام ورموز التعبيرات "الإيموشن" تحلقُ بتعبيرات الضحكِ والسخريةِ والتأييدِ.. وربما عدم الفهم، وأكثرها كان تعبير عدم الفهم كعادةِ الأصحاب..

"الحلُّ هو الإدارةُ الذاتية"

كان أمير يقصدُ إدارة "نور المعرفة"، ليس لهذا "البوست" غير معنى واحد، حين قرأه الأستاذ مراد عبد المنعم مدير المدرسة، كان منفعلاً وهو يردد: "هذا الولدُ الصغيرُ يُريدُ أن يكونَ مديرًا.. أمير يحلمُ أن يأخذَ مكانى".

أما أصحابه فقد أطلقوا عليه فى تعليقاتهم "المدير الصغير"، الفكرةُ المجنونةُ أشعلت الفيس بوك بين مؤيدٍ ومعارضٍ، وكانت النتيجةُ أن صدر قرار بفصل أمير من المدرسةِ لمدةِ أسبوعين، كان القرارُ قاسيًا. عاد أمير إلى بيته حزينًا، استقبلته أمه باكيًا منهارًا، علمت ما حدث من عم صالح عامل المدرسةِ الذى أصر أن يصحبه إلى بيته، احتضنت أمير وأدخلته إلى حجرته ونصحته أن يرقدَ فى سريره بينما ذهبت لتعد له مشروب "الينسون" الدافئ الذى يحبه، مكث فى سريره منهارًا لا يعرف كيف يواجه تلك المشكلة، سيمكث هنا فى هذه الغرفةِ أسبوعين بعيدًا عن مدرسته وأصحابه. هاتفت الأم زوجها والد أمير.. النقيب حسام الجوهرى، كان هاتفه غير متاح، شبكةُ المحمول معطلةٌ هناك فى الصحراء البعيدة، ظلت تنتظرُ حتى يتصلَ لتخبره بما جرى لأمير.

وضعت الأم كوب "الينسون" على المنضدة ومسحت شعر أمير بباطن كفِّها، كانت مترددةً كيف تبدأ معه الحديث؟ لا يجبُ أن تلومه، لو راحت تلومه فى هذا الوقت سيزداد ألمه ولا يجب أن توجه له نصائح الآن.. فالحالة النفسية التى عليها لن تسمحَ له بتقبُّل أيةِ نصائح، قررت الأم أن تفعلَ مع ابنها أمير ما فعلته أم توماس أديسون المخترع العظيم، قرأت تلك الحكايةَ وأُعجبت بتصرف الأم حين تؤمن بقدرات ابنها، الحكاية كانت تقول: (ذات يوم عاد أديسون الطفلُ الصغيرُ من مدرسته وهو يحملُ رسالةً من مُدرِّسه، أعطي توماس أمه ورقةً صغيرةً، وقال لها: "يا أمى لقد أعطانى المدرسُ هذه الورقةَ وقال لي هذه الورقةُ لا تفتحها ولا يقرأها أحدٌ سوى أمك فقط". طالعت الأمُ محتوى الرسالة ثم راحت تقرأ الورقةَ بصوتٍ عالٍ أمام طفلها أديسون وهى تقولُ له: "اسمع يا توماس ما يقوله مدرسك عنك". حينها أنصت توماس أديسون لأمه وهى تقرأ.. "سيدتى طفلك توماس أديسون طفلٌ عبقري وهذه المدرسةُ لا تستوعبُ هذا الذكاء حيث إننا ليس لدينا معلمين أكفاء لتعليمه، يرجي تعليمه بنفسك". ثم قالت فرحةً.. "من الآن لن تذهبَ إلى هذه المدرسةِ يا توماس وقد قررتُ أن أتولى تعليمك بنفسي". أحضرت الأمُ له الكتبَ وبدأت رحلةَ التعلمِ والدراسةِ، وفرح أديسون لأنه بدأ رحلةَ التعلّمِ والتفوّقِ على يدِ أمه. بعدما توفيت أمه بعدّةِ سنوات أصبح أديسون واحدًا من أفضل المخترعين في القرن، وذات مرةٍ ذهب إلي غرفةِ أمه وراح يُقلّب فى خزانتِها ووجد الورقةَ التى أرسلها المدرسُ إلى أمه آنذاك، وعندما فتحها وقرأ الخطابَ لم يصدق، اعتلت الدهشةُ وجهه وانهمرت الدموعُ من عينيه، كان مُدرِّسه قد كتب فى رسالته لأمه.. "سيدتى ابنك ضعيفُ الفهمِ ولن

نسمحَ له بأن يُكمل دراسته بالمدرسةِ.. إنه مطرودٌ منها.. لا ترسليه إلينا مرةً أخرى". قرأ أديسون الرسالةَ وقلبه يعتصرُ ألمًا.. لكنّه كان سعيدًا بتصرفِ أمه الحكيم حين أخفت عنه ما دوَّنه المدرسُ فى رسالته، ولولاها لما كان مخترعًا عظيمًا. كتب أديسون فى مذكراته.. "كان توماس أديسون ضعيفَ الفهمِ لكن أمه حوَّلته إلى عبقري القرن"). ها هى تتعرض لذاتِ الموقفِ، ابنها أمير جاءها مفصولاً من المدرسة، كيف ستتصرف؟ فكرت واختارت أن تُخفف عنه ألمه النفسي بكلمات تدعوه للأمل، ستحاولُ أن تُخرجه من حالته النفسيةِ الكئيبةِ وبعدها يُمكنها أن تُقيم حوارًا معه، قالت وهى مبتسمةٌ سعيدة:

- ما الذى يُغضبك يا عبقري؟

- لست عبقريًّا.. أنا فاشلٌ مطرودٌ من مدرستى.

- هل تعرف أن توماس أديسون ذلك العبقري.. ذات يوم طُرد من مدرسته مثلك تمامًا.

- معقول؟ هذا العبقري المخترع العظيم طُرد من المدرسة؟

- نعم هذا حدث.. ولكنه تجاوز تلك الأزمة وأصبح مخترعًا عظيمًا، حين نجد حجرًا فى الطريق لا يجب أن نتوقف عن السير.. بل سنزيحه بعيدًا ثم نُكمل طريقنا.

- لكننى طُردت من مدرستى!

- علينا نسيان هزائمنا مؤقتًا يا أمير حتى نستطيع الصمود.

نظر أمير إلى صورةِ أبيه المعلقةِ على الحائطِ وهو يرتدى سترته العسكرية:

- أريده معى الآن؟

- تعرفُ أن والدك ضابط، يقفُ هناك على الجبهة يحاربُ الإرهابيين.

- أنا أحبه.. اشتقت إليه، منذ شهور لا أراه.
- هل تحبُ أن ترى أباك؟
شعر بالفرح: هل سيأتى قريبًا؟
- لا.. بل ستذهبُ أنت إليه.
- حقًا.. هل سنذهبُ لزيارته فى الجبهة؟
- تعرفُ أن ذلك غير مسموح يا أمير.
ـ لا أفهم يا ماما.. وكيف سأذهب إليه؟!
- سأعلمك لعبةً.
- لعبة.. أية لعبة؟!
- لعبة كنت ألعبها وأنا صغيرة عندما كانت أمى تعاقبنى وتحبسنى فى حجرتى.
يضحكُ أمير وقد نسي همومه وحزنه:
- وهل كنتِ يومًا ما فتاةً صغيرةً مثلنا يا أمى؟
- نعم عندما كنتُ صغيرةً فى مثل سنك.
تتعالى ضحكاتُ أمير: كنتُ أظنك ولدتِ كبيرةً هكذا.
- كلُّ الآباءِ كانوا صغارًا وكنا مثلكم متمردين.. ومشاغبين أيضًا.
- وماذا كانتْ تفعلُ معكِ جدتى؟
- كانتْ جدتك تحبسنى فى حجرتى جزاء ما ارتكبته.
تعلو ضحكات أمير فجأةً.. فتسأله الأم:
- ما الذى يُضحكك يا أمير؟
- تخيلتُك وأنتِ تقفزين من الشبّاك هربًا.
- لا.. هذا لا يليق بأمك الفتاةِ المؤدبة أن تفعله.
- وماذا كنتِ تفعلين؟

- كنت ألعب لعبة "الطائر العجوز".
- "لعبة الطائر العجوز".. هل هى إحدى ألعاب الكمبيوتر؟
- لا يا أمير.. فى زماننا لم يكن الكمبيوتر فى كل بيت كما هو الآن.
- وما هى تلك اللعبة يا أمى؟
- سوف أحكي لك تلك الحكاية فى المساء بعد أن ترتاح قليلاً.. ونتناول العشاء معًا.

سعدت الأمُ لأنها استطاعت أن تُخرج ابنها من تلك الحالةِ التى كان عليها من الاكتئاب والحزن.

أخيرًا دق هاتفها.. كان المتصلُ زوجها النقيب أسامة الجوهرى، أخبرته بما حدث لابنهما أمير وطلبت منه أن يُعينها لكى يتجاوز ابنهما تلك المحنة. اعتذر لها لأنَّه ترك لها مهمةً ثقيلةً على كتفيها بمفردها وهو لا يستطيع العودة ليكون إلى جوار ابنه أمير فى تلك المحنة، قتالُ الإرهابيين على أشُدّه والمعركة حامية.. ولا يستطيع أن يتخلى عن واجبه، وأخبرها أنَّه سيتصلُ ليتحدث إلى أمير فور أن تهدأ المعارك.

الطائر العجوز

حين حلَّ المساء دخلت الأم على ابنها أمير كما وعدته.. كان فى انتظارها، ورأت تلك الطاقة السلبية التى تسيطرُ عليه.. فقالت بنظرةٍ لامعةٍ متفائلةٍ وهى تأملُ أن تمنحه طاقةً إيجابيةً:

- أين أمير.. الولد الممتلئ بالنشاط والحيوية؟

استعادت مقولةً تُؤمنُ بها.. "لكى تمنح الآخرين التفاؤلَ والسعادةَ عليك أن تُسكنها قلبك أولاً، لن تستطيعَ أن تمنح الآخرين شيئًا أنت تفتقده". حينها رفعت صوتها.. صوتها كان رنَّانًا سعيدًا.. هزت رأسها وبلهجةٍ تمثيليةٍ قالت:

- والآن موعدنا مع الحكايات.

- حكاية الطائر العجوز؟

- نعم سأحكيها لك.

- يبدو أنها مشوِّقة.

- طبعا.. وهل روت لك أمك من قبل حكاياتٍ مُملّة؟

بدأت الأمُ تحكى لابنها قصة "الطائر العجوز"، كانت تحكى عن طائرٍ عجوزٍ كبُر فى السن وأُصيب بأمراض الشيخوخةِ.. حيث أصبح عاجزًا عن تحريك جناحيه، وحين أتى موسمُ الهجرةِ رأى كلَّ الطيور تستعدُ للهجرة فى أسراب كبيرةٍ قبل أن يحلَّ البردُ ويقلُّ الغذاء، الطيور كانت منهمكةً فى الإعداد للرحلة الطويلة عدا الطائر العجوز، وحين لاحظ ذلك أحدُ أبناء الطائر وسأله.. أخبره الطائر العجوز بأسى وحزن أنَّه لن يستطيعَ الطيران طيلة هذه المسافة.

- معقول يا أبي ألّا تهاجر معنا إلى الأرضِ الجديدة؟!
- كما ترانى يا بنى لا أستطيع أن أحرك جناحىّ.
- لكن هذا هو موسم هجرة الطيور ولن يبقى أحدٌ هنا.
- خذ أشيائك وارحل مع بقيةِ الطيور.
- وأنت يا أبي؟
- سأبقي هنا حتى تتحسنَ صحتى وبعدها سألحقُ بكم.
لم يكن الطائر العجوز قادرًا على الهجرة، حاول الابن أن يُقنع الأب بضرورةِ الهجرة معهم وأنه سيساعده.. لكنه أصر على البقاء، ودَّع أبناءه بابتسامةٍ مشرقةٍ بالتفاؤل، كان يُدرك أن فى بقائهم إلى جواره الهلاك حين يشتدُ البردُ ويشح الطعام فى هذه الأرض.. ولابد من الهجرة الآن للنجاة، أمام إصراره على البقاء رحلت كلُّ الطيور فى حزنٍ، ظلَّ الطائرُ العجوز جالسًا بين جدران عُشه بعدما رحل الجميعُ ولم يبق سواه، كان يتألمُ من الوحدةِ وألمِ البعاد عن أبنائه.. لكنَّه ظلَّ يقاوم داخله ذلك الإحساس بالعجز والمرض.
- هل سيبقي الطائرُ يعيشُ بمفرده يا أمى؟
- لا.. سيفكر حتمًا فى حل، لا يجب أن نستكين للإحساس بالعجز.
- أىُّ حلٍّ يا أمى؟ وكيف سيقطع تلك المسافات الطويلة وهو غير قادر على الطيران.. إنه مريض؟
- كانت البداية حين فكر كيف سيواجه مشكلته ويتغلب عليها.
- وهل يُمكن أن يتغلب على مشكلته؟
- كلٌ منا يستطيعُ التغلب على مشكلاته إذا فكر جدّيًا فى طرق حلها.
راحت الأمُ تحكى لأمير وهو يستمعُ فى شوقٍ غير مصدق لتلك الحيلة التى فكر فيها الطائر العجوز للوصول إلى مَنْ يُحب، كانت الفكرة

تتمثل في تلك التمارين التى بدأ الطائر العجوز فى التدرُّب عليها، كانت تعتمدُ على الطيران.. ولكن بلا أجنحة.

- معقول.. هل يمكن لطائرٍ أن يُحلّقُ عاليًا دون أجنحة؟

- سيحاول.

ظل الطائر يقاوم فكرة العجز وأنه أصبح طاعنًا فى السن ولا يقوى على التحليق عاليًا.. ولن يقوى على قطع تلك المسافات للوصول إلى أبنائه، لم يركن إلى السكون والأمر الواقع، ومن الآن سيتدرب كثيرًا .

صرخ أمير مندهشًا:

- يُحلّق بلا أجنحةٍ، فكرة مجنونة يا أمى.

- تبدو مجنونةً مثل فكرة "الإدارة الذاتية" لـ "نور المعرفة".

صرخ أمير سعيدًا:

- أنا مثل الطائر العجوز.. أمتلك فكرةً مجنونةً.

- لنكمل.. راح الطائرُ العجوزُ يخرج من عشه ولا يبتعد عنه، يحاول أن يؤدى تمارين لعبته الجديدة.

- أية لعبة يا أمى؟

- لعبة الطائر العجوز.

- وماذا حدث؟

- حدث ما لم يتوقعه الطائرُ العجوز نفسه.. لعبته منحته طاقةً كبيرةً للتغلب على عجزه.

- هل استطاع التغلب على عجز البدن ومرض الجسم؟

- نعم يا أمير.

- لا أصدق! هذا محضُ خيال قصص.

- ألم تسمع أن الموسيقار الألمانى الشهير بيتهوفن.. فعل ذلك حين ألّف

بعض سيمفونياته بعد أن فقد حاسة السمع.
- لكن هل يمتلك كل منا تلك الطاقة الكبيرة للتغلب على الصعاب؟
- نعم يا أمير، كلٌّ منا بداخله طاقةٌ قادرةٌ على تجاوز كل الأزمات والصعوبات التى تواجهنا.
فكر أمير فى كلام أمه وهى تحكى له عن الموسيقار الألماني الكبير "لودفيغ فان بيتهوفن"، الذى ألّف أغلب موسيقاه الجميلة بعد أن أصبح أصم. وأصبح "فرانكلين روزفلت" رئيسًا للولايات المتحدة وهو مشلول الساقين، نتيجة إصابته بمرض شلل الأطفال وهو في التاسعة والثلاثين من عمره. و"هيلين كيلر" الأمريكية التي أصبحت عمياء وصمّاء وبكماء قبل الثانية من عمرها، تعلمت الكتابة والقراءة والنطق، وكرَّست حياتها لمساعدة الصّم والعُمي. و"كريستي براون" الكاتب والشاعر الأيرلندي، ولد وهو مريض بالشلل المخّي. وقد علّم نفسه الكتابة بقدمه اليسرى. ونُشرت سيرته الذاتية بعنوان "قدمي اليسرى".
حينها صرخ أمير:
- نعم.. شاهدت فيلمًا سينمائيًّا على اليوتيوب كان اسمه "قدمى اليسرى"، لم أكن أعرف أنَّه مأخوذ عن قصةٍ حقيقية.
- ولدينا هنا فى الثقافة العربية أمثلة عظيمة.. مثل طه حسين الذي تغلّب على مشكلة العمى وتقدّم في الأدب حتى لُقّبَ بعميدِ الأدبِ العربيّ. ومن قبله الشاعر والفيلسوف العربي "أبو علاء المعرى".. وهناك نماذج أخرى كثيرة ممن تغلبوا على ما أصابهم بالصبر والإيمان والمثابرة والرغبةِ في حياةٍ ناجحةٍ مثمرة.
كان أمير يسمعُ وقد بدأ يدب الأملُ فى داخله.
قالت الأم: إذا ردد الإنسان دائمًا فى داخله "أنا أستطيع .. أنا أستطيع"

فإنه حتمًا سيصنع المستحيل، مثلما استطاع الطائر العجوز أن يتغلب على مرضه وضعفه ليرى أبناءه فى المكان البعيد.

راح أمير يرددُ عدةَ مراتٍ بصوتٍ عالٍ:

- أنا أستطيع.. أنا أستطيع.

ونظر إلى أمه وقسمات وجهه مشرقةً بالتفاؤل:

- هل يمكننى أن أتعلم لعبة "الطائر العجوز"؟

- نعم سأعلمك تمارينها.. والآن انظر إلىّ جيدًا.

تُغمضُ الأم عينيها وتفرد ذراعيها عن آخرهما ثم تحركهما كجناحىّ طائر.. بينما يتابعها أميرُ مندهشًا:

- ماذا تفعلين يا أمى؟!

- أُقلد الطائر العجوز.. أتخيل نفسي الآن طائرًا يحلّقُ فى السماء، أُغمضُ عيني لأرى كلَّ من أحبهم، أتنقّلُ بين الأمكنةِ لأراهم برغم البعاد.

- وهل ترينهم حقًّا؟

- نعم يا أمير، الله سبحانه أعطانا قدراتٍ خاصة تتخطى كل الحواجز المادية؛ المسافات والحوائط والزمان، الطائرُ العجوزُ ظلَّ يحاول.. ربما أخفق مرات.. لكنه لم ييأس، وظل يحاول مرات ومرات حتى استطاع أن يحقق هذه النتيجة، بعضنا قد يصيبه اليأسُ من تكرار الفشل حتى لو حاول مرةً أو مرتين فقط، لكن الطائر العجوز لم يصبه اليأس وظلَّ يكرر المحاولات حتى نجح أخيرًا. عندما يكون لديك هدفٌ تريد أن تحققه فلا تيأس من تكرار المحاولات للوصول إلى هدفك.

فكر أمير فى حكايةِ الطائرِ العجوزِ.. وطلب من أمه أن تعلمه هذه التمارين.

- هيا تخيّل نفسك طائرًا.. افرد جناحيك أيها الطائر وأغمض عينيك..

والآن حرِّك جناحيك.
كان أمير يستجيبُ لأوامر أمه، وقف وأغمض عينيه وحرَّك ذراعيه كما طلبت منه، اقتربت منه وهى تهمسُ فى أذنيه برفقٍ:
- الآن ابدأ بتحريك جناحيك أيها الطائر يمينًا ويسارًا.. ولأسفل ولأعلى.. ثم اصرخ بهذه العبارة.. "أيها الطائر العجوز.. يا ساكن أرض الفيروز.. احملنى إلى أرضِ الحبِ وأعياد النيروز".
أمير يردد العبارة كما تلتها أمه.. مضت الدقائق.

المحاولةُ قد تنجح

ظلَّ أمير يجرّبُ لعبة "الطائر العجوز" مراتٍ ومراتٍ دون جدوى حتى شعر باليأسِ، الآن يجلسُ على مائدةِ العشاء مع أمه التى رأت القلقَ والحزنَ يُخيّمان على ملامح ابنها ولا يريدُ أن يأكل.. ربما شعر باليأس، صرخ وهو يدقُّ بيده على المائدة فاهتزت الأطباقُ:

- فشلت يا أمى فشلت، كلُّ محاولاتى فشلت.

- لا توجد محاولة فاشلة، كلّ فشلٍ يجبُ أن نتعلم منه.

- لم أستطع أن أكون مثل الطائر العجوز، لم أصل إلى أبي ولا إلى أصحابي؟

- هل بحثت عن السبب؟

- السبب؟

- إذا لم تنجح تجاربنا فعلينا البحث عن معرفة السبب.. حتى ننجح فى المرات القادمة.

- وما السببُ يا أمى وراء عدم نجاحى؟

- يجبُ ألا تفكر إلا فيمن تحب فقط، وحينها ستنجح.. وستلعبُ لعبة "الطائر العجوز".

- سأذهبُ لأجرّب الآن.

- لا.. الآن ستكمل عشاءك حتى تقوى على الطيران أيها الطائر.. الرحلةُ تحتاجُ إلى قوة.

انتهى أمير من عشائه ومضى سريعًا إلى حجرته، مكث لثوانٍ يفكرُ فى كلامِ أمه عن صفاءِ الذهنِ والتركيز فيمن نحبُ، ثم شرع فى أداءِ تمارين لعبةِ "الطائرِ العجوز"، أغمض عينيه وفرد ذراعيه وراح يحرّكهما فى

الهواء كجناحى طائرٍ وهو يردد: "أيها الطائر العجوز.. يا ساكن أرض الفيروز.. احملنى إلى أرض الحب وأعياد النيروز".
يندهشُ أمير وهو يشعرُ بجسده يخفّ، يرتفعُ جسده قليلاً عن الأرض.. شعر بعدمِ الاتزان وأصابه الدوار، كاد أن يسقطَ على الأرضِ..تماسك.. حرّك ذراعيه سريعًا كجناحى طائر يحافظُ على اتزانه.. نجح..حرّك ذراعيه بقوةٍ.. الجاذبيةُ الأرضيةُ تشده لأسفل.. قاوم وحرّك ذراعيه.. والآن بدأ رحلة الصعود.. صرخ سعيدًا:
- ما هذا.. أنا أرتفع لأعلى.. إننى أقطع المسافات بسرعة كطائر.. أمر على العمارات الشاهقة.. وأرى الجبالَ من بعيد.. غير معقول.. ذلك المقاتل هو أبي.. إنَّه يحملُ بندقيته ومعه جنوده يقاتلون، ما هذا.. أبي فى خطر.. أبي فى خطر؟
يرتفعُ صوتُ أمير.. تدخل الأم سريعًا وتحتضنه:
- ما بك يا أمير؟
أمير لم يُجب، رأت الأمُ جسده يهتزُ، خافت عليه، صرخت.. لم يرد، تعرفُ أنَّه الآن فى لعبة "الطائر العجوز"، اللعبة أوصلته دون أن يدرى إلى ساحةِ القتال هناك، حيث رأى معارك عنيفة يخوضها أبوه النقيب أسامة الجوهرى.
كان أمير خائفًا.. نادى على أبيه.. لم يسمعه، بعد دقائق خفَّت حدّة المعارك، الدموع أغرقت وجنتيه.. شهق، انتظر الأب حتى شعر أمير بالطمأنينة، أخبره أنه يود لو دخل حضنه الآن لكى يشعر بالأمان والقوة فى مواجهة مشكلاته، الأب احتضن ابنه بقوة:
- لولا الحرب لما تأخرت عليك يا أمير، أعرف أنك تمر بأزمةٍ وأعرف أيضًا أنك قادر على تجاوزها مثل العريف صلاح أمين.

- صلاح أمين.. ماذا فعل هذا العريف؟
- ضحى بنفسه لكى يحمى زملاءه وكتيبته وبلده.
راح الأب يحكى لابنه حكاية الشهيد صلاح أمين: "كنا فى نهايةِ يوم قتالٍ عنيف مع الإرهابيين، الشمسُ تودّع النّهار حيث هدوء الصحراء القاحلة، وجنودنا قضوا يومهم الطويل فى ملاحقةِ الإرهابيين هناك فى شقوقِ الجبلِ حيث يسكنون.. ليعدّوا خططهم الشيطانيةِ لإراقةِ دماء الأبرياء، كان العريف صلاح أمين يرقدُ فى خندقه ممسكًا بسلاحه يقضي فترةَ خدمته فى مراقبةِ الجبل، فجأةً والظلام يهبطُ على موقعِ السريّةِ.. لمح سيارةً يقودها إرهابي وأوقفها بالقرب من المعسكر، وهبط منها سريعًا تاركًا السيارة بالقرب من المعسكر، أدرك العريفُ بذكائه أن السيارة تحملُ متفجرات، فكر فى زملائه فى المعسكر وماذا لو انفجرت السيارة الآن؟ ستكون خسائرنا كبيرةً، سيموت الكثير من زملائه. سارع بالقفزِ للخروجِ من الخندقِ وهو يصيحُ لينبّه زملاءه للابتعاد.. فتح باب السيارة وجلس إلى مقعد القيادة وانطلق بها سريعًا، وما هى سوى دقائق معدودة والسيارة تبتعد عن المعسكر حتى سمع الجميع صوت انفجار مدوى يهزُ المعسكر، وألسنةُ النيران تعلو ودخانٌ كثيفٌ يلفّ المكان، حينها أدرك الجميعُ ما فعله العريف صلاح أمين حين ركب السيارةَ المفخخةَ بالمتفجراتِ- التى وضعها الإرهابيون بمقربةٍ من سورِ الكتيبةِ- بكل شجاعةٍ، اختار أن يضحى بنفسه من أجل أن يعيش بقية أفراد السريّة.. ويحمى أرواح أبناءوطنه".
- يا له من بطل.. هذا الجندى ضحى بحياته من أجل إنقاذ زملائه ووطنه.
- لهذا حين أشتاق إليك وإلى أمك.. وأرغب فى العودة أتذكر ما فعله هذا البطل.. فأجدنى أقدم تضحيةً قليلةً.. فأزداد صلابةً وقوةً.

- فى أحيانٍ كثيرة أشتاق إليكَ يا أبي وأريدك إلى جوارى.
- وأنا أيضًا يا أمير.. ولولا الواجب ما تركتك مطلقًا، لكنى حين أشتاق إلى رؤيتك أفعل شيئا بسيطًا.
- ماذا تفعل يا أبي؟
- أصرخ بأعلى صوتى لتسمعني الجبال: "أيها الطائر العجوز.. يا ساكن أرض الفيروز.. احملنى إلى أرض الحب وأعياد النيروز".
ضحك أمير وهو يفتح عينيه على كفّ أمه وهى تضمه، فتح عينيه.. ولما رآها إلى جواره تمادى فى عناقها.. بينما كانت عيناه غارقتين فى الدموع.
- رأيت أبي.. رأيت أبي.. إنها لعبةٌ رائعةٌ، لكن أبي دائما فى خطرٍ يا أمى.
- هو يدافعُ عن وطنه ويدافعُ عنا.
- لماذا يفعل الإرهابيُّ ذلك بنا؟
- الإرهابيُّ لا يحب أحدًا.
- لكننى رأيته.. هو إنسان مثلنا يا أمى.
- نعم يا أمير.. شكله وملامحه تشبهنا تمامًا.. لكنّه متعصّب فى آرائه.. لا يُؤمنُ بالاختلاف.. ويكره المختلفين عنه فى الرأى وفى العقيدةِ وفى الديانةِ.. وهو يكرههم إلى حد أنَّه يريدُ قتلهم باسم الدين.
- وهل يأمرهم الدين بقتل الناس؟
- لا يا أمير.. هم يفسّرون الدين تفسيرًا خاطئًا.. الله سبحانه يدعونا إلى المحبةِ وإلى السلامِ.. وإلى مساعدةِ المحتاجِ وإلى عمارةِ الكونِ.. لا إلى القتلِ والحرقِ والتخريب.
- وكيف أصبح الإرهابي يكرهنا يا أمى؟
- لأنه فقد أفضل ما منحه الله لإنسان من نعم.
- وما هي أفضل النعم يا أمى؟

- العقل.. العقل يا أمير.. به نهتدى إلى التفكير السليم، الإرهابيُّ شخص لا يفكر.. بل يكون تابعًا لأميره فى الجماعةِ فقط، إنه يلغى عقله ليصبح مجرد أداةٍ فى يدِ غيره، يقتلُ ويحرقُ ويدمّرُ العالم. العقل والتفكير الصحيح هو ما جعل الجندى صلاح أمين يفدى زملاءه ووطنه، والتفكير الخاطئ هو ما جعل الإرهابي يخرب ويهدم وطنه.

أدرك أمير أهمية العقل وأهمية التفكير السليم، وتعلم كيف يدافع عن أفكاره ولا يستسلم لليأس، العريف صلاح أمين كان مفتاح التغيير، صمم على أن يكون شجاعًا وأن يتغير، كتب أول "بوست" عمّا جرى معه بسبب فكرته المجنونة عن "الإدارة الذاتية":

"لسنا صغارًا.. يمكننا أن ندير شؤوننا فى "نور المعرفة" التى نحبها.

البعضُ اتهمه بأنَّه طالب مهمل يُريدُ اللعب ولا يُريد التفرّغ للدراسةِ، والبعضُ وصف الفكرة بالمستحيلةِ. ربما راوده هاجسٌ أن ينسحب.. لولا أمه التى ربتت على كتفه فى ذلك اليوم وقالت بلهجةٍ قوية:

- لم لا تدافع عمَّا تؤمن به؟ إذا كنت مُحقًّا فسوف تقنع الآخرين بوجهة نظرك.

***

فى الصباح جلست أمه إلى جواره تراجع معه دروسه.. ثم قالت:

- كفى مراجعة دروس لهذا اليوم.

اندهش أمير حين رأى أمه تتحرك ناحية الباب، خرجت إلى الصالة ثم عادت سريعًا حاملةً فنجانًا.

- ما هذا يا أمى؟

- شرابك المفضل.. النسكافيه.

- هيا اشربه.. ثم قم لتقابل أصحابك.

- فهمت.. تقصدين أن ندخل على الفيس بوك.
- لا.. أقصد لعبة "الطائر العجوز".
- تريدينني أن أذهب إليهم؟
- نعم.. اشرب النسكافيه ثم استعد أيها الطائر لتقوم برحلتك الجديدة.
خرجت الأم وأغلقت باب حجرة أمير الذى شعر بحنين لأصحابه، حقًّا يريد أن يراهم الآن، قام وراح يؤدى تمارين لعبة "الطائر العجوز".. وصاح بعد دقائق:
- "أيها الطائر العجوز.. يا ساكن أرض الفيروز.. احملنى إلى أرض الحب وأعياد النيروز"
الآن يُحلّق أمير فوق المدرسة، يرى زملاءه وهم ينصرفون إلى فصولهم، ها هو أحمد وشريف يلعبان الكرة فى الفناء، وهذه جودى تسقى الورود فى الحديقة، هو يراهم، بدأ يلوّح لهم، يقتربُ شيئًا فشيئًا وهو يصرخُ وينادى على أصحابه.. لم يلتفتوا إليه رفع صوته بالنداء، كان صوت الطبلة عاليًا فى فناء المدرسة، ضحك حين لاحظ أن شريف يتلفت يمينًا ويسارًا يبحث عنه، لم يدرك بعد أن أمير هناك فى السماء يحلق كطائر بجناحين كبيرين، لم ينظر شريف لأعلى.. هناك فى السماء ليرى صاحبه.

"البوست" القوى

راح أمير يتجوّلُ فى صفحاتِ أصحابه على "الفيس" حتى أُصيب بالدهشةِ وتوقف عن تحريك "الماوس" قائلاً بصوتٍ عالٍ:

- أمى.. انظرى ماذا كتب صديقي شريف؟

تطالع الأمُ مندهشةً سعيدةً:

- ألم أقل لك؟

كان شريف قد كتب فى صفحته هذا "البوست":

"صدقونى رأيت أمير اليوم، رأيته فى المدرسةِ، شاهدته فى السماءِ يحلّقُ كطائرٍ، لم يكن حقيقةً ولم يكن تخيّلاً، لا أعرف، فقط أنا أحبُ صاحبي أمير وأريد عودته".

كان أمير يفكرُ مع أمه فى "بوست" جديد سيكتبه على حائطِ صفحته على الفيس.. وأخيرًا اتفقا على هذه الجملة:

" أنا بخير، سعيد برؤيتكم اليوم، سأحكى لكم حكاية "الطائر العجوز مع البطل صلاح أمين".

فور أن وضع أمير "البوست" انهالت التعليقات من أصدقائه، فرح أمير بردود أصحابه السريعة، كلها تحمل معانى الحب، والبعض وضع له تعبيرات "الإيموشن".. أيقونات للبهجةِ، والبعضُ رسم له صورةً لطائرٍ كبيرٍ عجوز، كانت الصورةُ جميلةً ومعبرةً لذا وضعها خلفيةً لحائطِ صفحته، ظن البعضُ أن أمير يتحدثُ عن اسم روايةٍ جديدةٍ تحملُ عنوان "الطائر العجوز"، وبعضهم توقع أن يكون فيلمًا، والآخرون تصوروه قصةً خياليةً. ضحك أمير، رد على تكهنات أصحابة بقوله:

- قريبًا ستعرفون لعبة "الطائر العجوز".

البعضُ ظنّها لعبةً جديدةً من ألعابِ الإنترنت، ابتسم. واطمأنت الأم، تركته يحاورُ أصحابه ومضت إلى المطبخِ لتعد الغداء. أحمد عرض أن يحضر له كل الدروس الجديدة التى لن يحضرها، وجودى قررت أن تشرح له الجغرافيا.. فهى ماهرةٌ فيها، وشريف عرض أن يحضر له كشكول اللغة الإنجليزية لمتابعةِ الكلمات الجديدةِ وحفظها أولاً بأول. تردد قبل أن يفتح اللاب توب ثانية.. لكنه صمم فى النهايةِ وكلمات أبيه عن الشهيد صلاح أمين ترن فى رأسه.. دخل على صفحته وبدأ يرد على التعليقات "الكومنتات" التى هاجمته.. كتب:

"الإدارة الذاتية" ليست فكرةً مجنونةً ولا مستحيلة، المدرسة ليست مكانًا لتلقِّى العلوم فقط، المدرسة مكان للحوار والتعلّم والترفيه، الرسم والغناء والموسيقى والرياضة ليست مضيعةً للوقت".

توالت تعليقات الطلبة من كلِّ المدارس، لم تقتصر على طلبة "نور المعرفة".. الجميع أيّدوا أمير، وانهالت طلبات الصداقة من زملاء بمدارس أخرى على صفحته، الآلاف دخلوا إلى صفحته التي وجدوا فيها ملاذًا لكى يسردوا شكواهم من طريقةِ الإدارةِ، وعدم وجودِ أنشطة.

بعد أيامٍ كتب أمير "البوست" التالى:

"نريدُ نظامًا يدعم الفاشلَ حتى ينجح، ولا يحارب الناجحَ حتى يفشل. ماذا ستفعلُ لو كنت مديرًا لهذا النظام؟".

أغلق أمير اللاب ونام، ولم يكن يدرى أن ذلك "البوست" سيكون بدايةً جديدةً له، بداية لم يحلم بها، نام أمير لكن صفحته ظلت تستقبل آلاف التعليقات وأحلام الطلاب وآمالهم التى سيحققونها فى مدارسهم. البوست أزعج الوزارة.. وطلب الوزير ملف أمير ليدرسه بنفسه.

الرحيل

كانت الإجراءات اليوم على غير المعتاد، فوجئ الطلبة بحضور السيد مدير الإدارة التعليمية "عبد العال الغمرى" مبكرًا ليشهد طابور الصباح، الطلبةُ كلهم حضروا الطابور على غير العادة.. لم يغب أحد، كانت الصفوفُ منتظمةً دون شغبٍ أو احتكاكٍ.. كما كان يجرى دائمًا فى أرض الطابور، تطلعت عيونهم جميعًا على أمير الذى تقدّم للأمام حين استدعاه مدير الإدارة التعليمية ليقف إلى جواره، الأستاذ عبد العال بدا متوترًا، أمسك بكف أمير وصعد به درجات ثلاثة فى منصّةِ الطابور حول العلم المرتفع، راح يعدل من هندامه ويسوّى شاربه ويستعيد هدوءه، عدّل من وضع النظارة على عينيه.. اتضحت الرؤية، الطلاب يقفون فى صمتٍ يتطلعون إليه باهتمام، أدرك بخبرته أن الطلبة فى انتظار كلمته، البعض على صفحاتهم على الفيس شكك فى نية الإدارة، والبعض ظنّ الأمر مراوغة، والبعض تمنّى حدوثه. لم يكن الأستاذ عبد العال يعرف من أين يبدأ كلامه للطلبة، لأول مرة يتلعثم ولا يجد كلامًا على لسانه، لأول مرة يغيب مدير مدرسة "نور المعرفة" الأستاذ مراد عبد المنعم عن طابور الصباح، كان شيئًا ملفتًا، عيون الطلاب دارت يمينًا وشمالاً بحثًا عنه.. ربما يتوقعون خروجه فى أية لحظة، تنحنح الأستاذ عبد العال وهو يبادل أمير ابتسامة ودودة، الأستاذ مجدى كان سعيدًا بما يجرى.. بل هو أحد الداعين إليه، المدرسون يقفون فى حيرةٍ ينتظرون على أمل أن يبدد مديرُ الإدارة تلك الشائعة، أقسم الأستاذ ربيع مدرس الجغرافيا أنها مجرد شائعة سخيفة أطلقها أحد الطلبة

على "الفيس بوك"، "الفيس" أصبح مصدرًا للشائعات، يجبُ أن يدقّق المرء فى كل ما ينشر على حوائطه، كثير منها أخبار زائفة.. وربما يكون خبر اليوم من ضمن هذه الأخبار التى سيبددها مدير الإدارة، نظر الأستاذ عبد العال إلى أمير فوجده يتابع زملاءه ويشير لهم بعلامة النصر.. كأنهم حققوا ما أرادوه بعد أسابيع من الشد والجذب بين الإدارة وبين الطلبة، منذ اقترح أمير هذا الأمر على صفحته وكان صداه واسعًا فاجتذب إليه كلَّ الطلاب، وأصبحت صفحته واحةً يلتقى فيها الجميع، والتفّ حوله معظم الطلبة، بعض الطلبة هاجموا الأستاذ مراد مدير المدرسة، كانوا يظنونه يفعل كل ما بوسعه للحيلولة دون صدور هذا القرار الذى يراه عبثًا، شيء لم يحدث من قبل، طوال حياته الممتدة فى وزارة التربية والتعليم لم يسمع عنه، منذ أن كان مدرسًا شابًّا حتى ترقَّى ووصل إلى أن أصبح مديرًا لمدرسة "نور المعرفة"، فى البداية نظر للأمر على أنه طرفة ومزحة لن يأخذها أحد مأخذ الجد. استطاع أمير أن يجمع حوله الطلبة ليكون أمين اتحاد الطلبة بالمدرسة، أحبه زملاؤه وساروا خلف فكرته المجنونة حتى استطاع أن يقنع الإدارة التعليمية لتستجيب لتلك الفكرة التى بدت خيالاً، وها هى تتحقق ويأتى اليوم الأستاذ عبد العال مدير الإدارة بنفسه ليعلن موافقة الوزارة على فكرة أمير، وربما- كما توقع الأستاذ مراد- أن تتسرب تلك الأفكار المجنونة إلى بقية المدارس. لم يكن يتوقع الأستاذ مراد عبد المنعم- الشخصية القوية الصارمة والمدير الناجح- أن يبرح مكتبه بهذه الطريقة، لم يكن حزينًا وهو يجمع أغراضه ليرحل إذعانًا لقرار صدر من وزير التربية والتعليم بعد مشاورات واستدعاء له، وسماع وجهة نظره التى تبارى فى توضيحها والسخرية من أفكار أمير والأولاد الصغار، لكن لا يعرف

كيف صدر هذا القرار فجأة؟ ما الذى جرى وجعل الوزير يصدر قرارًا بتنحيته عن إدارة المدرسة مؤقتًا؟ تلك الكلمة التى وردت فى القرار "مؤقتًا".. هى التى خفّفت من أحزانه حين صرخ فى مكتب الأستاذ عبد العال مدير الإدارة زاعقًا بعد أن خرج عن وقاره:

- لا داعى لأن نجرب شيئًا محكومًا بفشله.

- ليس بيدى يا أستاذ مراد، هذا قرار الوزير.

- وكيف يخضع الوزير لابتزاز طالب صغير؟

- قال دعهم يجرّبون، إنهم جيل جديد.

كان هذا هو الحوار الذى دار بين مدير الإدارة وبين الأستاذ مراد، خرج بعدها من المكتب وهو يضرب كفًّا بكف، لا يصدق ما جرى، المفاجأةُ شلّت عقله عن التفكير، فكر فى الاستقالة، فكر فى الإضرابِ عن الطعام، فكر فى إرسالِ مذكرةٍ إلى حضرةِ رئيس الوزراء يحكى فيها ما حدث، بالتأكيد سيلغى هذا القرار التعسّفى الصادر من وزير التعليم، ربما حضرة رئيس الوزراء سينصفه حتمًا ويعيد الأمر إلى نصابه، لن يدع ولدًا صغيرًا مثل أمير ينتصر عليه بهذه الطريقه. حين جلس خلف مكتبه وشرع فى كتابة مذكرة.. تذكّر أمرًا حدث منذ شهور حين حضر الأستاذ مجدى وجلس يدعوه للهدوء، نظر إليه الأستاذ مراد:

- لن أتركهم يعبثون بالمدرسة، هذا الولد سيتم فصله.

- لماذا؟

- لأنه مجنون، ماذا يتصور نفسه.. أينشتاين؟ لقد وقّعت على قرار فصله من المدرسة لمدة أسبوعين.

- أنت تُصعّد الأمر يا حضرة المدير.

- أنا أُعيد الأمور إلى نصابها، لن أُجرّب أفكارًا خيالية، بناء نظام لإدارة

”نور المعرفة“ فكرة مجنونة سيمارس فيها الفشلة هواياتهم، سأعلق قرار فصل هذا العبقري على الحائط ليتعظ زملاؤه.

تذكّر الأستاذ مراد ذلك الحوار الذى دار بينه وبين الأستاذ مجدى فى هذه الغرفةِ منذ أسبوعين، لم يتوقع مطلقًا أن قرار فصل أمير الذى اتخذه فى ذلك اليوم سيكون شرارةً لتلك الأحداث التى تداعت إلى أن وصل الأمر إلى مكتب الوزير.. وانتهى الأمر بعزله عن إدارةِ المدرسة، بعد لحظات سيحضر المدير الجديد ليجلس على مقعدِ مراد عبد المنعم، كان يجمعُ أغراضه ليرحلَ إلى الغرفةِ التى بالطابقِ الثالث، لم يعد الآن مديرًا للمدرسةِ.. سيكتفى بالمشاهدةِ، لكنّه بعد أن سمع هتاف الطلبةِ فى الخارجِ وهم فى أرضِ الطابورِ سعداء فكّر جدّيًّا ألا يجلس متفرجًا، ربما سيحاولُ بطريقةٍ خفيّةٍ أن يُفشلَ المدير القادم، من يكون ذلك المدير؟ ربما الأستاذ مجدى.. إنّه مناصر للطلبةِ على الدوام، أم سيكون المدير من خارج ”نور المعرفة“؟ فى كل الأحوال سيرى فشله نصب عينيه واضحًا، وسيعودُ هو لمقعده قريبًا.

المدير الجديد

حين دخل الأستاذ ربيع مدرس الجغرافيا مكتب مدير المدرسةِ ليخبره بالنبأ الذى لم يكن السيد مراد يتوقعه ولا يدور بخلده، كان كل تفكيره ينصرفُ فى أن الأستاذ مجدى ربما يكون هو مدير "نور المعرفة" القادم، المفاجأة تخطت كل الاحتمالات والتوقّعات.. حين دخل الأستاذ ربيع وهو يلهث.. تابعه السيد مراد بعينيه، كان الأستاذ ربيع مترددًا يتلعثمُ فى الحروف.. ثم أخيرًا نطق بصعوبةٍ وردد:

- أمير.. أمير.

لم يفهم السيد مراد ما يعنيه الأستاذ ربيع بذكر اسم "أمير" هكذا.

- ماذا جرى؟

- أمير أصبح مديرًا لـ "نور المعرفة".

- هل جننت؟

- بل هى الحقيقة التى أعلنها مدير الإدارة فى أرض الطابور الآن.

- طالب صغير يكون مديرًا للمدرسة؟!

- ليس مديرًا بالمعنى التقليدى.. إنّه مدير لنظام "الإدارة الذاتية".

- "الإدارة الذاتية".. الفكرة المجنونة؟!

- نعم.. قال عنها الوزير إنها فكرة رائعة لبناء نظام جديد يعتمدُ على مشاركةِ الطلبة.

ثم نظر الأستاذ ربيع إلى السيد مراد وقال متهكمًا:

- ونحن ماذا نصنعُ.. أنعود طلابًا ونقفُ فى الطابور؟

فى المساءِ كان جروب "نور المعرفة"على الفيس بوك مشتعلاً بالتهانى

والفرحة، الأولاد سعداء بما جرى صباح اليوم فى المدرسة، أصبح أمير مديرًا للنظام الجديدِ للمدرسة. فجأةً كتب ياسر بهجت طالب فصل 2/3 "بوست" جديد أدهش الجميع وأطفأ فرحة الأولاد:

"لماذا أمير؟"

اندهش الجميعُ من هذا "البوست" ، جودى بعد ترددٍ كتبت تعليقًا:

- "أمير صاحب الفكرة فى برنامج الإدارة.. لذا هو يستحق".

رد أحدُ الطلاب: "هذا لا يكفى ليكون مديرًا لنظامِ البرمجةِ الذاتية".

اشتعلت "الجروب" بين مؤيدٍ ومعارضٍ.. كل له مبرراته، البعضُ يرى أن أمير يستحقُ، والبعضُ الآخر من زملاءِ ياسر فى فصل 2/3 يرون أن رأى ياسر يستحقُ أن نحترمه وقالوا:

- ما المبررات التى تجعل أمير مديرًا؟

الصراعُ بين الأولاد جعل الأستاذ مجدى يتدخلُ على صفحةِ المجموعة "الجروب"، كان يرى أن عدمِ تدخّله بين الطلبةِ أثناء نقاشهم واختلافهم أفضل، من حقّهم أن يتبادلوا الأفكارَ حتى يصلوا إلى قرارٍ بالتوافقِ بينهم، لكن هذه المرة وجد الخلاف مستحكمًا ولا يجب أن يترك هذا الخلاف إلى حد التناحر والضغينة، أن يختلف النَّاسُ على أمرٍ ما أو فكرةٍ.. هذا الخلاف صحى ومقبول ولا يجب أن نخاف منه، لكن هذه المرة وجد الأستاذ مجدى أن هذا الخلاف ربما يقود الأولاد إلى الصراع.. بينما كان خبر الاختلاف بين الطلبة قد وصل إلى مسامع الإدارة والسيد مراد يهاتف الأستاذ عبد العال ليخبره بما يجرى بين الطلبة، السيد عبد العال كان يرى أن نترك الأولاد لكى يصلوا إلى النتيجةِ التى يتفقون عليها دون تدخل الإدارة، بينما كان السيد مراد يرى أن عودته إلى مقعد مدير "نور المعرفة" أصبح وشيكًا، فها هم الأولاد وفى أول خطوةٍ يشتعلُ

الخلافُ بينهم، المدرسةُ لن تنجح ولن تعملَ فى ظلِ هذا الخلاف.
فى أرضِ الطابور كان الأستاذ مجدى واقفًا يتابع ذلك الانقسام الواضح، هناك مجموعة كبيرة تلتف حول أمير، ومجموعة أقل تلتف حول ياسر، والباقون لم يختاروا الانضمام لأى فصيلٍ.. على الأرجح هم فى حيرة، تلك الصورة لم تكن صحيّةً.
فى المساءِ كتب الأستاذ مجدى على صفحته على الفيس:
"الحلُّ هو الديمقراطية".

الديمقراطية

كانت صدمةُ السيد مراد عبد المنعم كبيرةً حين علم أن ابنته جودى وقفت إلى جوار زميلها أمير تؤيده.. حين قرر فصله لنشره انتقادًا له ولطريقة إدارته للمدرسة من خلال صفحته الشخصية على الفيس، جودى وقفت إلى جوار زميلها أمير لأنها كانت تؤيد فكرته المجنونة عن "الإدارة الذاتية".. وعن حقه فى الاختلاف فى الرأى، يوم فصل أمير بكت طويلاً، السيد مراد رأى يومها إصرارًا فى عينى ابنته جودى وربما كانت ومعها زملاؤها السبب فى إبعاده عن منصبه مديرًا لـ "نور المعرفة"، كان عصبيًّا حين خاطب ابنته:

- ماذا تصنعين على الفيس بوك يا جودى؟

- نمارس الديمقراطية يا أبي.

- الديمقراطية ليست للصغار قليلى الخبرة.

- لا يا حضرة المدير.. لا يا أبي الغالى.. هذا حقنا فى اختيار مدير "نور المعرفة".

- وكيف ستمارسون الديمقراطية؟

- هناك تنافس بين شخصين؛ أمير.. وياسر.

- ومن ستختارين يا جودى؟

- سأختار أمير.

- لماذا أمير بالذات؟

- لأنه من فصلى.. فصل 2/4، أما ياسر فهو من فصل 2/3.

تطلّع السيد مراد إلى الصراعِ بين الأولاد على أمير وياسر.. وكل فرقة تنتصرُ لزميلها. انقسمت المدرسةُ على "الجروب" بين مؤيدٍ ومعارضٍ على أساس مجموعات الأصحاب والانتماء للفصول، أمسك الأب بيد ابنته جودى وقال بصوتٍ هادئ:

- فى الديمقراطية لا يجبُ أن يختار الناخب مرشحًا على أساس الانتماء للعائلة أو المكان أو الدين.

- كيف يا أبي.. هل أترك أمير زميلى فى الفصل وأختار واحدًا من فصلٍ آخر؟

- الانتماء للفصل لا يصلح معيارًا للاختيار.

- وكيف أختار؟

- يجب أن نختار الأفضل والأصلح.. وليس الأقرب.

- وكيف أعرف الأفضل؟

- من خلال البرنامج.

- البرنامج؟!

- نعم.. يعلن كلٌّ منهما برنامجه وطريقة إدارته للمدرسة، وعلى هذا الأساس يمكنكِ المفاضلة بينهما.

فكرت جودى فى كلام أبيها ووجدته مقنعًا، لا يجب أن يقودنا العند مع الكبار إلى التقليل من قيمةِ الفكرةِ التى طرحها أبوها.. هكذا رددت جودى تلك المقولة بصوتٍ عال.. "أبي عنده حق"، ودون ترددٍ كتبت على صفحةِ "الجروب" هذا "البوست":

- "نريد برنامجًا ومنهجًا للعمل لكليكما ليكون الاختيار بينكما على أساسٍ علمى.. وليس بالهوى والشلّة والانتماء للفصل".

الجميع تفاعل مع "بوست" جودى وكانت التعليقاتُ إيجابيةً، أثنى

الأولاد على الفكرة ولم يجد أمير مفرًّا من أن يكتب:
- "هذا هو برنامجى: سنطوّر الأنشطة الترفيهية داخل المدرسة لنجذب الطلاب للحضور، وسنتيح جدولاً مُريحًا للطلاب يوازن بين الدروسِ والأنشطةِ، وسنبنى نظام برمجة "نور المعرفة؛ كل شيء من أول الأنشطة حتى درجات الامتحانات".
رد ياسر بهجت على برنامج أمير بهذا البوست:
- "لن يكون هناك قيود، يمكنكم الحضور أو الغياب، لا مذاكرة، لا أعمال سنة، لا امتحانات شهرية، لا واجبات منزلية، سنعيش أحرارًا من أية قيود مدرسية، الحرية شعارى".
استسلم السيد مراد لطلب ابنته حين فتحت أمامه صفحة "جروب نور المعرفة" ليشاهد هذا التفاعل الفكرى بين المرشحين، وكيف تفاعلوا مع البوست الذى نشرته وكان نتيجة اقتراح من أبيها، فرح السيد مراد بما رآه، الأفكارُ تقابلها أفكار، كلا المرشحين يتبادلان وجهات النظر، كل منهما يرغب فى أن ينالَ أصوات زملائه، تلك هى الديمقراطية التى اقترحها الأستاذ مجدى ليتمكن من فض الخلاف بين أمير وياسر، كل منهما يعرضُ أفكاره وبرنامجه عن "نور المعرفة" ثم يختار الطلاب من يقتنعون بأفكاره وبرنامجه، أما الشخص المتعصّب فيضع البندقية مقابل فرض أفكاره على الجميع، الإرهابي يرى أنه وحده من يمتلك الحقيقة وأن غيره على باطل.
اندهشت جودى حين وجدت معظم الطلاب يصوتون لـ ياسر، كان برنامجه يجذب الطلاب الكسالى، يركز على أشياء جاذبة لعقول الأولاد وليست نافعةً.. بعيدًا عن الالتزامات المدرسية والواجبات المنزلية والامتحانات، تهلل الجميعُ لهذا البوست، كانت الأصوات ترجّح كفّة

ياسر فى مقابل أمير، نظرت جودى إلى أبيها تستنجدُ به ليعطيها مشورته، رأى حيرة ابنته، ماذا ستفعل؟ ناولها كوب العصير وقال:

ـ كونى إيجابيةً يا ابنتى.

فهمت جودى مقصد أبيها بأن تكون إيجابيةً، الكبارُ لديهم الحكمة، حكمةُ التجارب والمعرفة، لا يجب أن نغفل هذه الحقيقة ونحن نتخلص من وصايتهم. ظلت تفكر فى الطريقةِ التى ستساعدُ بها أمير، الأولاد ينساقون وراء دعاية ياسر عن الترفيه واللعب وإلغاء الدراسة والحصص، ماذا يمكنها أن تفعل؟

فى اليوم التالى.. حين اجتمعت مع زملائها أحمد وشريف تدارسوا الأمر، ياسر كان يكتسح على الفيس، الطلاب يصوتون لصالحه بينما كان أمير مستسلمًا حزينًا، كان آخر حوار بينه وبين أمه حين قال لها حزينًا:

- الديمقراطية سيئةٌ يا أمى.. سيئةٌ جدا.

- الديمقراطية ليست سيئةً يا أمير.. إنها طريقة اختيار ونحن الذين نختار.. إما الأفضل وإما الأسوأ، المسؤولية تقع علينا.

- لكن الديمقراطية ستأتى بمن يهدم "نور المعرفة" يا أمى، أنا أحب مدرستى وأشعر بالقلق والخوف عليها.

أغلق أمير الفيس وجلس حزينًا فى غرفته.. يرفض أن يدخلُ على مجموعة "جروب المدرسة".. ويرفض الرد على هاتفه، شعر باليأس عندما وجد معظم الطلاب يتفاعلون مع "بوست" ياسر بهجت ويرونه الأصلح لإدارة المدرسة، البرنامج الذى طرحه سيحيل "نور المعرفة" لملهى للغناء واللعب فقط، حين وعدهم ببرنامج ترفيهى لا يليق بمدرسة عريقة، يجب أن يكون هناك مناهج دراسية وحصص وواجبات مدرسية إلى جوار الأنشطة، ماذا عليه أن يفعل الآن؟ ليس بيده شيء، اليأسُ تملك

منه، دموعه تنهمرُ ورغبة حقيقية فى الانسحاب من معركة الديمقراطية التى لم يعتد عليها، وخاصة بعدما هاجمه زملاء له فى المدرسة، لم يصدق ما يجرى له، الأستاذ مجدى ربما يدرك الآن الحالة التى عليها أمير من الحزن، نشر "بوست" على صفحته يروي فيها حكاية طريفة قائلا: "ترى.. لو وصف أحدهم أينشتاين- هذا العبقري- بالجاهل الأمى ماذا سيكون ردة فعله؟ سأحكى لكم حكايته مع النادل فى المطعم، حكاية طريفة لكنها موحية: كان أينشتاين لا يستغني أبدًا عن نظارته، وذهب ذات مرةٍ إلى أحد المطاعم، واكتشف هناك أن نظارته ليست معه، فلما أتاه النادل بقائمة الطعام ليقرأها ويختار منها ما يريد، لم يستطع القراءة دون النظارة، حينها طلب أينشتاين من النادل أن يقرأها له فاعتذر النادل قائلاً له: إنني آسف يا سيدي، فأنا أميّ جاهل مثلك. فضحك أينشتاين".

ضحك أمير حتى ظهرت أسنانه بيضاء ناصعةً وهو يقرأ هذا البوست، من المدهش أن ينعتك أحدهم بصفة ليست لك، كان يحتاج إلى شيء يخرجه من تلك الحالة الكئيبة التى تملّكته وجعلته منهارًا ضعيفًا لا يقوى على الصمود، نظر إلى سقف الحجرة وقال بصوتٍ عالٍ:

- لِمَ أنا حزين؟

جرى الدمُ فى عروقه والحماسُ تدفق فى روحه، وقف أمام الكرسى، وثب وثبة عاليةً حتى اعتلى الكرسي ونظر إلى قامته ووجدها عاليةً، نظر إلى نفسه وقال:

- ما دامت قامتى عاليه فأنا قادر على المنافسة والصمود.

هبط من فوق الكرسي وجرى سريعًا ناحية المكتب الخشبي، تطلع إلى كتبه وقفز قفزةً فكان فوق سريره واقفًا، نظر إلى نفسه وقال:

- لم أنا حزين؟ لدى أم تحبنى، ولدى أب يقاتل الإرهابيين من أجلى ومن أجل الوطن ويحبنى، ولدى أصدقاء يحبوننى. لست حزينًا الآن؟
مضى أمير نحو مفتاح الكهرباء وأطفأ المصباح.. ثم أعاد الإضاءة وصاح:
- أنا مثل هذا المصباح.. لدى طاقة سلبية هى الظلام، ويمكننى أن أبدد هذا الظلام بضغطة على المفتاح فيكون النور والأمل والسعادة.
ابتهجت الأم حين رأت أمير أمامها فى الصالة، قالت فى سعادة:
- أخيرًا عادت إليك ابتسامتك يا أمير.
- نعم يا أمى.. أنا اخترت النور والسعادة والأمل، لن أطفئ مصباح روحى، لن أبالى بنتيجة الانتخابات سواء كنت رابحًا أو خاسرًا، لدى ما يسعدنى، سوف أخوض المعركة الانتخابية حتى آخرها، لن أركن لليأس، سأحاول مثلما فعل الطائر العجوز وحقق هدفه.. وأنا سأحاول حتى أحقق هدفي.
الجميع فى الإدارة التعليمية- وعلى رأسهم مديرها- كانوا ينتظرون النتيجة، كانت فرحة مدير الإدارة بالتجربة باديةً على وجهه، الأولاد يديرون معركةً انتخابيةً رائعةً، لكنه حذّر زملاءه قائلاً:
- لن أترك "نور المعرفة" تنهار وسأتدخل فى الوقت المناسب إذا فشل الأولاد فى الحفاظ على مدرستهم، سألغى حينها نظام "الإدارة الذاتية"، وسأعيد السيد مراد مديرًا للمدرسة كما كان.
جودى عرضت الأمر على زملائها، حين نواجه مشكلةً يجب أن نلجأ للتفكير الجماعى لنطرح كل الحلول ونتمكن من الاختيار السليم والمفاضلة بين الأفكار المطروحة، كان الأصدقاء قد اجتمعوا على مساندة زميلهم أمير فى الانتخابات الدائرة بينه وبين ياسر بهجت، لكن كيف يمكنهم مساندته لمواجهة عبث ياسر واستيلائه على الأصوات ببرنامج

انتخابي يغرى الكسالى والفاشلين؟ بدأت رحلة التفكير، اقترح أحمد أن يقوم شريف بمهارته الفائقة فى الكمبيوتر بتغيير نتيجة التصويت، وسأل صديقه شريف عن إمكانية أن يحدث ذلك، صرخ شريف:

- نعم.. ببساطةٍ شديدةٍ يمكننى كـ "أدمِن" للجروب أن أغير النتيجة، إنها طريقة سهلة، ساعتها سيفوز أمير بكل سهولة.

فرح أحمد بتلك الفكرة بينما كانت جودى شاردةً، لم تتجاوب معهما، نظر إليها أحمد:

- ما رأيك جودى؟ لم تصمتين؟ وجدنا الحل، سيفوز أمير؟

- لكنها طريقة غير أخلاقية.

شريف: وما يفعله ياسر غير أخلاقي بتلك الدعاية السيئة التى يستحوذ بها على أصوات الطلاب.

جودى: لا يجب أن نمارس الخطأ لأن أحدًا غيرنا فعله.

أحمد: ليس أمامنا غير هذه الطريقة لكى ننقذ المدرسة التى نحبها ونراها وطننا الصغير، ويجب أن ندافع عنها ولا نتركها لهذا المستهتر.

جودى فى حزن: الأهداف النبيلة يجب أن تكون وسائلها نبيلة أيضًا.

انتهى الحوار بين الزملاء دون أن يصلوا إلى نتيجةٍ ولا طريقة لإنقاذ "نور المعرفة" من نهاية محتومة على يد ياسر بهجت إن هو فاز فى الانتخابات وأصبح مديرًا للإدارة الذاتية، لن تكون "نور المعرفة".. المدرسة التى يحبونها ويعشقونها، بل ستكون شيئًا آخر.. ربما أقرب للنادى أو الملهى.

"البوست" المعجزة

السيد مراد كان يتابعُ الخلاف بين طلبة "نور المعرفة" على الفيس بوك، ويراه خلافًا وصل إلى مرحلة الصدام، لم يكن قادرًا على الصمت وقد شاهد جدلاً عنيفًا بين الطلبةِ، ولأنّه يحبُ "نور المعرفة" فقد قرر أن يُبلغ الأستاذ عبد العال الغمرى بما يجرى، أخبره أنَّ الأولاد مازالوا صغارًا ولا يمكنهم الاختيار السليم، وأنّهم حتمًا سينحازون إلى الفوضى على حساب الالتزامات، سينحازون للعلب والهوايات على حساب العلم والدراسة، واقترح فى نهاية حديثه إنهاء برنامج "الإدارة الذاتية".

كان التصويت جاريًا، وتفوُّق ياسر بهجت كان واضحًا، الولد الذى يريد أن يجعل "نور المعرفة" نادى رياضي أو ملهى.

عندما استمع السيد عبد العال إلى حديث الأستاذ مراد عبد المنعم ورأى أن مخاوفه حقيقية على "نور المعرفة"دعا فورًا لاجتماع عاجل فى مكتبه بالإدارة التعليمية للنظر فيما يجرى فى "نور المعرفة".

شهد الاجتماع جدلاً واسعًا بين الحضور؛ رأى البعضُ ضرورة إنهاء التجربة فورًا وعودة السيد مراد إلى موقعه مديرًا للمدرسة، كان هذا الفريق يرى أن تجربة "الإدارة الذاتية" فى "نور المعرفة" محكومٌ عليها بالفشلِ؛ فمنذ الخطوة الأولى والاختلاف واضح والانقسام موجود بين الطلبة، ويجب على الإدارة أن تتدخل لتنهى هذا العبث، فلا يُمكن لهؤلاء الصغار أن يمارسوا حريةً بطريقةٍ ملتزمةٍ، ربما تتفاقم الأوضاعُ وتسيرُ الأمورُ إلى الأسوأ فى "نور المعرفة"، وقد تصلُ إلى مرحلة لا يُمكن تدارك الأمور عندها. بينما كان السيد عبد العال ومعه فريق كبير يرون أنه من الضرورى الحكم على التجربة عندما تكتملُ، وأن تدخّل الإدارة الآن يُفسدُها، وأنّ الخلاف

القائم بين طلبةِ "نور المعرفة" هو خلافٌ صحى يجبُ أن ندعمه، الاختيار فى النهايةِ يجبُ أن يكون عن قناعةٍ، والقناعةُ تتكوّن بطرح كافةِ الأفكار المتعارضة، الفكرةُ تواجه الفكرة، وأن ما يخيف الفريق المعارض ليس له أساس، الأولاد يمارسون حريتهم بجديّةٍ ولا يجبُ أن تخيفنا الأفكارُ التى يتبادلونها مهما كانت جرأتها؛ فهى تعبرُ عن هذا الجيل الصاعد وتمردهم جزء من تكوينهم النفسي، المدرسة يجبُ أن تكون الفضاء الذى يمارسون فيه حريتهم بمنتهى الأمان لأنها تحت إشرافنا، وطلب السيد عبد العال أن تتريث الإدارة بعض الوقت قبل التدخّل، وأن تُمهلَ الأولاد أسبوعًا حتى يصلوا إلى نتيجةٍ، فإن استطاعوا الخروج من خلافاتهم سيكونُ انتصارًا لتجربة "نور المعرفة".. ونجاحًا كبيرًا لتجربة "الإدارة الذاتية".

فى نهاية الاجتماع انتهى الرأى إلى منح الأولاد فرصة أخرى لاستكمال التجربة تحت إشراف الإدارة دون تدخّل، وترك الأولاد يخوضون التجربة حتى نهايتها بمنتهى الحرية، ولو مر الأسبوع دون جدوى حينها ستتدخلُ الإدارة حرصًا على المدرسة.. وحتى لا تتسع مساحة الاختلاف بين الطلبة.

كان أحمد فى طريق العودةِ إلى منزله، وكلام جودى يرنُ فى أذنه حين قالت "إن الأهداف النبيلة يجبُ أن تكونَ وسائلها نبيلة". فكر أحمد فى الطريقةِ التى سيساعدُ بها أمير دون التدخّل فى التصويت وتغيير النتيجة، دخل بيته وهو مشغولٌ فى سؤالٍ مهم.. ماذا يُمكن أن يفعلَ الآن لكى يتغير التصويت لصالح أمير بطريقةٍ أخلاقيةٍ ونبيلة؟ صرخ فجأةً بصوتٍ عالٍ.. "وجدتها"، حتى إن أمه سمعت صياحه فظنته يريد شيئًا.. لكنه طمأنها، فتح اللاب توب ودخل "جروب نور المعرفة" وتابع تفوّق ياسر بهجت، الفكرة التى طرأت على رأسه الآن يجب أن يبلغها لأصحابه، العمل الجماعى أفضل من التصرّف الفردى، أخرج هاتفه وضغط على اسم شريف صديقه، وحين أتى صوت شريف مجيبًا، قال دون مقدمات:

- وجدت الحل لكى يفوز صديقنا أمير.
ظل أحمد يسترسلُ دون مقاطعةٍ من شريف.
- سنشترى أصوات الطلبة، كل صوت لصالح أمير سندفعُ له عشرة جنيهات.
- ومن أين نأتى بكل هذا المال؟
- من الصندوق.
- أى صندوق؟
- صندوق التبرعات الذى سنجمع فيه مالا من زملائنا لهذا الغرض.
- وهل تظن أن شراء الأصوات عمل أخلاقى؟
- ماذا تعنى يا شريف؟
- من يبيع صوته الانتخابي كمن يبيع مدرسته، ويكون على استعداد عندما يكبرُ أن يبيع وطنه.
جودى هى الأخرى جلست فى غرفتها تمعنُ فى التفكير، كانت تريدُ أن تصلَ إلى طريقةٍ تساعد بها أمير الذى يفقد الأصوات يومًا بعد يوم، لابد من إنقاذ الموقف، ماذا يُمكنها أن تفعل وهى ترى خسارة أمير قد أوشكت. ياسر كل يومٍ يضعُ "بوست" جديد يداعبُ به خيال الطلبة، تحدث فى "البوست" الأخير عن حفلات رقص جماعى وعمل حفلات غنائية لمطربين، الأولاد يتجمّعون الآن حول أفكاره ويزداد عددهم كل يومٍ. "أشياء جيدة لكن مكانها ليس المدرسة".. هكذا علقت جودى على "بوست" ياسر بهجت، لكنها وجدت إيموشن أيقونات الغضب والرفض والسخرية والكراهية من معظم الأولاد. كتب أحمد "بوست" علّق فيه على ما جرى مع جودى:
- "علينا أن نتبادل الأفكار بطريقةٍ صحيّة.. لا أن نسخر من فكرةٍ أو نسيء إلى صاحبها".

انهالت التعليقات تؤكد جميعها على عجز أمير عن تقديم أفكار جريئة مثل ياسر بهجت، كان همُّ كل هذا الفريق أن تكون المدرسة مكانًا للترفيه واللعب وممارسة الهوايات، ولا وجود للتعليم والعلم، والتربية وكان هذا هو جوهر الخلاف بين الفريقين.

أمير تمدّد بجسده على السرير فى حجرته التى أطفأ نورَ مصباحِها فأصبحت مظلمة، يتطلعُ فى الظلمةِ إلى بصيص نور يتسرّب من فتحات الشبّاك، دخلت الأم بعدما طرقت باب حجرته، أخبرته أن هناك من يريد مقابلته. رفض أمير أن يقابل أحدًا، كان شعور اليأس والخمول يسيطر عليه، ملامحه حزينة وجسده متعب ويشعرُ بالإحباط، الأم أصرت أن يقابل الضيف الذى حضر وليس من اللياقة أن نترك الضيفَ ينتظرُ طويلاً، استجاب أمير لطلب أمه بصعوبةٍ بالغة، كان يظنه أحد أصدقائه.. ربما يكون أحمد أو شريف، أحدهم جاء ليواسيه فى خسارته التى تتوالى على "جروب نور المعرفة"، وحين خرج إلى الصالة أغمض عينيه فى مواجهة النور، حجب النور بظهر يده وتطلّع إلى الضيف، لم يصدق حين وجد الأستاذ مجدى ينتظره، جرى نحوه مسرعًا ودخل حضنه الواسع وراح يبكى.. انتظر الأستاذ مجدى حتى يفرغ أمير من حالته بينما ذهبت الأم إلى المطبخ لتعد مشروبًا للضيف، جلس أمام أمير وقال بابتسامته الودودة:

- الوحدة ليست حلاً، الحل أن تواجه.

- كيف أواجه؟ هل أفعل مثله وأعد الطلاب بحفلات السمر وإلغاء الدراسة والاكتفاء بالهوايات.

- لا يا أمير.. لا تفعل هذا.

- بدون ذلك سأخسر.

- من الأفضل لك أن تخسر وأنت متمسك بمبادئك وأفكارك.. بدلا من أن تكسب بالتخلّى عنها، ابحث عن وسيلة تتفق وأهدافك النبيلة.

مضى الأستاذ مجدى مودعًا أمير وهو مبتسم، وعاد أمير إلى حجرته وضغط على مفتاح الإضاءة فتلاشي الظلام، قال مبتسمًا:

- الآن لعبة الطائر العجوز، ليس أمامى سوى أن أذهب إليه.

أغمض أمير عينيه وحرّك ذراعيه وبدأ رحلة الطيران، وعندما وصل وجده مبتسمًا كعادته كأنه ينتظره:

- مرحبا أمير.

- أهلاً يا أبي.

- كيف هى معركتك أيها المدير الصغير؟

- معركتى.. أنا لست ضابطا فى الجيش مثلك يا أبي!

- إنك تخوض معركة نبيلة من أجل الحفاظ على مدرستك "نور المعرفة".

- نعم.. ويوشك الضابط الصغير أن يخسرها.

- الضابط مقاتلٌ.. والمقاتلُ لا يخسر معركته الشريفة أبدًا.

- كيف يا أبي؟

- عندما تؤمن بها وتثق فى قدراتك ومواهبك ونبل أهدافك.

- وماذا علىَّ أن أفعلَ لأكسب معركتى؟

- فكر فى نقاط قوّتك.

عاد أمير من رحلته وتلك الجملة فى ذهنه "فكر فى نقاط قوتك"، كلماتُ أبيه عن ضرورةِ أن يثق الجندى فى نفسه وقدراته حتى يكسب معركته. جلس أمير خلف مكتبه يرددُ كلمات أبيه، كان يحكى له عن بطولات زملائه فى معاركهم مع الإرهابيين هناك فى الصحراء الواسعة والجبال الوعرة، قال له كلمةً كانت هى المفتاح.. "علينا أن نثق فى قدراتنا وأنفسنا.. بدون ذلك سنخسر المعركة مع خفافيش الظلام".

جرى ناحية اللاب توب.. سطع ضوءُ الشاشةِ على وجهه.. انتقل سريعًا على الفيس حتى دخل على "جروب نور المعرفة" وكتب:

- البندقية هى سلاح الجندى فى المعركة، والكتاب هو سلاح الطالب، مَنْ يُريدُنا أن نتخلى عن سلاحنا يريدنا أن نصبح جهلاء ونخسر معركة العلم والمعرفة التى هى حق لنا، سنتمسّك بسلاحنا.. العلم والكتاب والدراسة، المدرسة هى الوطن وهى الأم.

ثم وضع فيديو وهو يغنى بإيقاعٍ جميلٍ هذه الأغنية:

"ماذا تعني كِلْمة وطنِ؟!
تعني الناسَ.. تعني الشارعَ.. تعني المدن
تعني زهرةَ حقلٍ تنمو.. تعني أرضي
تعني جنة.. جنة عدنِ
ماذا تعني كِلمةُ وطنِ؟!
تعني وجه الصبحِ الأبيض
تعني الخبزَ.. كوبَ اللبنِ
وطني يعني ضحكةَ أمي
بيت الأسرة.. شُرفةَ فصلي .. دفءُ السكنِ
ماذا تعني كِلْمةُ وطنِ؟!
تعني الفرحةَ طولَ الزمنِ"

وضع أمير أغنيته التى غناها بصوته ونشرها رسالة صوتية على الصفحة، كان ذلك هو الشيء الأخير الذى فعله قبل أن يطفئ شاشة اللاب توب ويتمددُ على سريره، ويروح فى نومٍ عميق، لم يستيقظ منه إلا على رنين هاتفه المتواصل، كانت جودى تُخبره بما جرى طوال الليل، أمرٌ يُشبه المعجزة، أغنية أمير عن الوطن صارت أغنيةَ الجميع، كلُّ الطلاب "شيَّروها" على صفحاتهم ورددوها بحماسٍ كأنّها صارت نشيد "نور المعرفة".

التسابق الليلى

ظلَّ الطلاب يتسابقون طوال الليل فى التصويت لصالح أمير، أدركوا الخطرَ الذى يحيق بمدرستهم، لا يمكن أن تصبح "نور المعرفة" ناديًا أو ملهى، المدرسةُ منارةٌ للعلم والدراسة ويجبُ أن تبقى منارةً تؤدى دورها الرئيسي فى نشرِ العلم وبناء جيلٍ جديد، الأولاد ليسوا صغارًا كما ظن البعضُ.. بل كانوا كبارًا فى انحيازهم للعلم وللمعرفة. تحوّلٌ سريعٌ أدى إلى تغيير النتيجة، النتيجةُ التي كانت- منذ قليلٍ- محسومة لصالح ياسر بهجت، ياسر دون أن يدرى خرج عن روح المنافسة والتسابُق وراح يتوعّد أمير بالفشل وأنّه لن يتركه يهنأ بقيادة "نور المعرفة"، تهكّم على زملائه بلغةٍ لا تليق بطالب.

"لا يجبُ أن نخرجَ عن حدود اللياقة عندما نشعر بالهزيمة، الهزيمةُ تدفعنا لنكون أقوياء ونتعلّم من التجربة، لا أن نرتكبَ حماقاتٍ فى حق الآخرين حتى ولو كان الغضبُ يملأنا، لا يجبُ أن يستسلمَ المرءُ لتلك المشاعر السلبية".. هذا ما حاول والد ياسر أن يشرحه لابنه وقد رآه غاضبًا ساخطًا مندفعًا نحو الهجوم الأعمى على زملائه فى "نور المعرفة" لأنهم اختاروا أمير، واتهمهم بعدمِ المعرفةِ والجهل، الأبُ راح يُهدِّئ من ثورة ابنه وقد دعاه للخروج إلى الهواء الطلق، جلسا معًا أمام صفحة النيل الصافية، الماءُ المنسابُ يُريح النّفس ويدعو للسكينة، أمسك بكفّ ابنه وراح يُهدِّئ من مشاعره الغاضبة، كان يرفض الذهاب إلى "نور المعرفة" غدًا، والدموعُ انسابت من عينيه:

- أبي.. كيف أذهب غدًا إلى "نور المعرفة" وأواجه زملائي بهزيمتى؟ أنا أشعرُ بالخجل.

- الشعورُ بالخجل شعورٌ طيب.. لكن لا يجب أن يدفعنا إلى سجن أنفسنا، أنت لم تفعل شيئًا مخجلاً لتهرب منه.. أنت نافست بشرفٍ وكنت على حافّةِ الفوز، لماذا تخجل؟

الاختفاء

ما جرى فى "نور المعرفة"منذ أيامٍ قليلةٍ صار حديث النّاسِ فى البيوت والشوارع، حتى الصحف كتبت عن تلك التجربةِ المدهشةِ التى يقودها مدير صغير، تصدّرت صورةُ أمير الصفحات الأولى بالجرائد الشهيرة وهى ترصد تجربة "الإدارة الذاتية" التى ولدت فى "نور المعرفة"، الصغار فجأةً أصبحوا كبارًا يمارسون الديمقراطية ويختارون الأصلح ولا يلهثون خلف دعاياتٍ زائفةٍ، كانوا سيفقدون مدرستهم لو انساقوا خلفها، الإدارةُ كانت على وشك التدخُّل وانهاء الأمر برُمّته بعدما تصاعدت وتيرة الخلاف، حتى إن الوزير فى آخر مكالمة له مع الأستاذ عبد العال كان منزعجًا وقد أوشك أن يطلب منه إنهاء تلك التجربة فى "نور المعرفة" بعدما قرأ فى إحدى الصحف أن الدراسة توقفت وأن الخلاف بين الطلبة وصل إلى طريقٍ مسدود، لكن السيد عبد العال كان حكيمًا وطلب من الوزير التريُّث وعدم التدخل الآن، كان الوزير يخشى الانقسام الذى سيضر حتمًا بالمدرسةِ وربما يفتح مجالاً للفوضى، لكن الأولاد فى "نور المعرفة" كانوا على قدر المسؤوليةِ واستطاعوا وقت الخطر أن يكونوا يدًا واحدة، حافظوا على وحدة وطنهم الصغير "نور المعرفة" وانتهت التجربة بالنجاح وسط دهشةِ الجميع. التجربةُ شجعت وزير التعليم أن يعقد مؤتمرًا صحفيًّا ليعلن أن الوزارة ستقومُ بتعميم تجربة "الإدارة الذاتية" على معظم المدارس.

وبدأت التجربة هناك فى "نور المعرفة"؛ جودى خاطبت وزارة الثقافة وحصلت على مجموعةٍ من الكتب والقصص والروايات الشيّقة لتكون

نواةً لمكتبة "نور المعرفة"، أما شريف فقد جعل من حجرة "الكراكيب" المهجورة- بمساعدة زملائه وعم صالح- مرسمًا صغيرًا يحضر إليه هواةُ الرسم والتلوين، وأحمد اختار أن يكوِّن فرقةً مسرحيةً بالمدرسة من هواةِ التمثيل، واتفق مع أحد المخرجين ليشرفَ على تدريب الطلاب.

"نور المعرفة" تحوَّلت إلى خلية نحل؛ أمير أعد جدولاً منتظمًا لجميع الفصول يوازن بين الأنشطةِ وبين الحصص الدراسية. مر أسبوعان ولم تُسجَّل حالات غياب بين الطلاب.. عدا الحالات المرضية فقط. أمير خاطب إدارة الشباب والرياضة وحصل على شِباك جديدة للملعب وعلى عددٍ من الكرات وأدوات رياضية أخرى، انتظمت الحصصُ والأنشطةُ فى آنٍ واحد، كانت المدرسة نموذجًا جيدًا يحضر إليه خبراءُ التربية ليشاهدوا تجربة "الإدارة الذاتية" وكيف أتت ثمارها. لم يعد هناك حديثٌ فى كل وسائل الإعلام إلا عن أمير.. المدير الصغير، هذا الشاب الذى استطاع أن يقود مدرسته بمهارةٍ وأن يلتفَّ حوله زملاؤه.

أمير فعل ما لم يتوقعه أحدٌ، اصطحب جودى وأحمد وشريف وذهبوا إلى منزل ياسر بهجت، وكانت المفاجأة حين تعانقا طويلاً، كان والد ياسر يشاهدُ المنظر مبتسمًا سعيدًا بما يجرى، أخذوا ياسر معهم إلى المدرسة وأصبح مسؤولاً عن النشاط الرياضى الذي يحبه، وأعد جدولاً لدورى المدرسة بين جميع الفصول.

من مكتبه بالدور الثالث بالمدرسةِ يتابع السيد مراد ما يجرى سعيدًا بعودة انتظام الدراسة فى "نور المعرفة".. سعيدًا بتلك الروح التى سادت داخل الطلبة، روحٌ من الود والمحبةِ والحماس جعلهم يتغلّبون على كثيرٍ من الصعاب، كان يود أن يتدخل ويذهب بنفسه إلى أمير لكى يهنئه بنجاحه كمدير صغير لنظام "الإدارة الذاتية" لنور المعرفة،

ويعرض عليه رغبته فى أن يساعدهم بما لديه من خبرة إذا احتاجوا إليه فى أى شيء، لكنه أجَّل تلك الخطوة حتى منتصف العام ليرى درجات الطلبة فى امتحانات "الترم"، لكن اليوم كان غريبًا حين أزاح الستارة عن زجاجِ النافذةِ التى يطلُ منها على أرض الطابور ليرى كما رأى فى الأيام الماضيةِ كيف يقودُ أمير طابور الصباح، وكيف يحيي الطلاب العَلم وكيف ينصرفون على وقع إيقاع الطبلة إلى فصولهم فى صفوفٍ منتظمةٍ كجنودٍ أشدّاء، اليوم كان مختلفًا، رأى الطلبة على غير العادة فى حالةٍ من الفوضى، ابنته جودى تدخلُ مبنى الإدارة وتخرجُ مسرعةً، ينضمُ إليها زميلها أحمد ويتناجيان سرًّا، ثم ينضم إليهما شريف وعلامات التعجب على وجهه، الشغفُ وصل إلى منتهاه والرغبةُ فى معرفة ما يجرى شغلته، تُرى ماذا يجرى فى أرض الطابور؟ ولماذا لم ينتظمُ طابور الصباح حتى الآن؟ الحصةُ الأولى أوشكت على البدء ولا أحد يتحرك، كان ضروريًّا أن يتصل بالسيد مدير الإدارة الذى أبدى دهشته وطلب من الأستاذ مراد أن يتابع بنفسه ما يجرى في "نور المعرفة"، الأمورُ تسيرُ على غير العادة، فجأة وقف الطالب شريف وطلب من جميع الأولاد الانصراف إلى فصولهم ووعدهم بصوتٍ عالٍ أن يتابع الموقف وسيخبرهم بما يجرى، الفضول والخوف على المدرسة جعلا السيد مراد يهبط درجات السلم سريعًا حتى وصل إلى أرض الطابور، هذه المرة الأولى التى يفعلها منذ أن ابتعد عن الإدارة، تحرك سريعًا نحو ابنته جودى، وحين سألها بشغفٍ ترددت جودى، تلعثمت فى الكلام وربما خشيت أن تخبره بما وقع، لكن شريف أخرج جودى من حيرتها وترددها حين قال:

- لم نعثر على أمير.

تعجَّب الأستاذ مراد.. وجال ببصره سريعًا فى أرض الطابور، كيف لم يلحظ غياب أمير عن أرض الطابور؟

- ماذا تعنى يا شريف؟

- أمير لم يحضر إلى المدرسة.

- ألم يهاتفه أحدٌ ليعرف سبب تأخُّره؟

- هاتفه مغلق.

- اتصل بأمه.. ربما كان مريضًا أو لديه عذر.

- اتصلنا بها وأخبرتنا أنه نزل فى موعده تمامًا لكى يأتى إلى المدرسة.

أثناء هذا النقاش كان هاتف جودى يرن.

- من؟ هل هو أمير؟

- لا.. بل هى أم أمير.

- رُدّى يا جودى ربما لديها أخبار عنه لنطمئن.

ردَّت جودى مسرعةً على الهاتف، شعر الجميعُ بالقلق بعد ردِّها..

- لا يا ماما.. لم يحضر أمير حتى الآن إلى المدرسة

لا لم نعرف مكانه.. عندما نصل إليه سنخبرك.

حينها استبد القلقُ بالجميع.

تحقيق الرائد حسين

عندما وصله البلاغُ تحرك سريعًا، الرائد حسين الشبوكشي ضابط مباحث ماهر، قرر أن يبدأ تحقيقه من هنا.. من منزل أمير، كما قال لمساعده الأمين رفاعى.. إنّه يُريدُ أن أن يحدد لحظة الاختفاء بالضبط، ومنها يمكنه التحرك بالتحقيق إلى الأمام لكشف ملابسات الواقعة وضبط الجناة.. إن كانت هناك شبهة جنائية. الرائد حسين الشبوكشي سأل الأم عدة أسئلة ليعرف إن كان غياب أمير طبيعيًّا أم وليد عملٍ إجرامى، الأم كانت منهارةً وهى تجيبُ بصعوبة على أسئلة الرائد، كان يُدون ملاحظاته على إجابات الأم فى نوتةٍ صغيرة، دخل بعدها غرفة أمير وبحث فى متعلقاته وأدواته علّه يجدُ خيطًا يقوده إلى كشف غموض الاختفاء، فتح جهاز اللاب وظل وقتًا يفحصُ محتواه، حتى خزينة ملابسه قام بفحصها، ومن خلفه الأمين رفاعى ذراعه الأيمن، كان يدوِّن ملاحظات الرائد حسين حين يشير إليه ليدوِّنها، أشياءٌ بسيطةٌ لكنّها ستفيده فى التحقيق، ضابط المباحث عليه ألا يستهين بأى شيء.. ربما أشياء بسيطة تقودنا إلى الجانى أو إلى كشف غموض جريمةٍ وملابساتها، علّمته التجاربُ هذا، راح يدوّن بعض الملحوظات حول حديث أمير مع أصحابه على الخاص، عن موقف ياسر بهجت وكيف كان يتوعده.الرائد الشبوكشي لم يترك أحدًا له علاقة بأمير إلا وسأله؛ بواب العمارة، زملاؤه فى المدرسة، مدرّسوه، واستنتج بعد بحث أولي أن أمير ليس له أعداء، لكن ربما المنافسة التى بينه وبين ياسر بهجت كانت على أشُدّها فى

انتخابات مدرسة "نور المعرفة"، أو الألم النفسي لدى السيد مراد نتيجة فقد منصبه بسبب أمير، كل الشكوك كانت تدور حول هذين.. ياسر بهجت والسيد مراد. طلب الرائد حسين الشبوكشي تحريات دقيقة من مساعده الأمين رفاعى حول هذين الشخصين قبل أن يهم باستدعائهما للاستجواب. الجميع أصيب بالصدمة، لم يصدق أحد ما جرى ولم يتوقع أحدٌ أن تكون هذه هى نهاية أمير.. الطالب الذى جعل "نور المعرفة" فى مصاف المدارس العُليا، شَغَل وسائل الإعلام.. هناك برامج شهيرة فى التليفزيون استضافته للحديث عن تجربته فى "نور المعرفة"، كان الشخص الأكثر شهرة فى المدينة، ربما جرَّ ذلك عليه حقدًا من أحد زملائه ففعل ما فعله للخلاص منه، كان ذلك أحد الفروض التى يفكر بها الرائد حسين طوال الوقت لكشف ملابسات اختفاء أمير، فالنجاحُ ربما يجرّ عليك بعض الأحقاد وبعض الغيرة.

الحزن خيّم على طابور الصباح، البعضُ أجهش بالبكاء حين لم يجدوا أمير بينهم، الحماس انطفأ وميضه وتراجعت نسبةُ الحضور، كان أمير شعلة نشاط وحماس، أحب مدرسته وزملاءه.. وعندما تحب الآخرين حتمًا سيبادلونك نفس مشاعر الحب.

من يفعل هذا بأمير؟.. سؤال حيَّر شريف حتى إنه كتب على صفحته على الفيس: "عد يا صديقي نحن نفتقدك.. نريدك بيننا".

بينما كتب أحمد: "نور المعرفة بدونك يا صديقي بلا حياة، عد سريعًا من فضلك".

جودى جلست أمام أبيها تبكى منهارة، كان هو الآخر متأثرًا وحزينًا، جودى لم تشك لحظةً فى أن أباها وراء اختفاء أمير؛ لهذا آثرت الصمت حين هاجمها أحدُ الطلبة فى أرضِ الطابور بالأمس وألمح أمام الجميع

وبصوتٍ عالٍ أن أباها صاحب مصلحة فى اختفاء أمير ليعود هو إلى مقعده فى "نور المعرفة". لم تستطع الرد.. لكنّها دخلت فى نوبةِ بكاءٍ وعادت إلى بيتها سريعًا، لم تُكمل يومها الدراسي ولم تتحمّل نظرات الشك التى تراها فى عيونِ الطلبة، الأستاذ مراد عبد المنعم.. ذلك الرجل التربوى الذى أمضى حياته كلها مُعلمًا ومُربيًّا يفعلُ هذا؟ يرتكب تلك الجريمة الخطيرة ويتخلص من أمير؟ هى لا تصدق تلك الشائعات.. لكنّها لا تقدر على مواجهتها لأنها ابنته، ربما يتصورن دفاعها عنه مجرد دفاع ابنةٍ عن أبيها.. لكن الحقيقة أنها تعرف أباها جيدًا.. لا يمكن أن يفعل هذا. جلست جودى حزينةً فى بيتها وقررت ألّا تذهب إلى المدرسةِ حتى يعود أمير.. هكذا كتبت على صفحتها:

- لن أعود إلى "نور المعرفة" حتى يعود أمير.

الرائد حسين الشبوكشي لا يتعامل مع العواطف والمشاعر.. بل يتعاملُ مع الأسباب والأدلةِ المادّيةِ ودوافع الجريمة؛ لذا حينما دوّن اسم السيد مراد كأحد المشتبه بهم كان يبنى ذلك على أساس ما توافر لديه حتى الآن من معلومات، منها أن الإدارة أزاحته عن مقعد المدير بسبب أمير، وربما يكون ذلك دافعًا لكى يتخلص منه، لكنّه لن يوجّه اتهامًا لأحدٍ بارتكاب جريمةٍ دون أن يكون لديه دليل إدانة مادى، الشكوك وحدها لا تكفى لتوجيه اتهام لأحدٍ.. علينا أن نبحثَ عن أدلة. ما فعلته بعضُ الصحف حين تسرّعت واتهمت السيد مراد صراحةً كان عملاً غير مسؤول من صحفى متسرّع، لا يجبُ أن ندين النّاس دون أدلةٍ أو براهين.. بل ودون تحقيق.. علينا أن نتريّث. وما فعله البعضُ على الفيس بوك حين سارع باتهام ياسر بهجت أيضًا كان اتهامًا بلا دليل.. ونيل من سمعة ياسر، وياسر بدوره صمت، لم يستطع أن يدافع عن

نفسه أمام تلك الاتهامات، جلس فى بيته ولم يبرحه، يرفض حتى أن ينزل إلى الشارع ليواجه الناس.

"فى بعض الأحيان تشعر أنك ضعيف، لا أحد يقف معك وكل النّاس ضدك، لكن عليك أن تتماسك ولا تنهار لكى تبدو قويًّا فى مواجهة الشدائد، إذا فعلت هذا فقد أصبحت رجلا".. كانت هذه هى كلمات أبيه وهو يدفعه أن يقف ليواجه، وأن يدافع عن نفسه ولا يبدو ضعيفًا أمام حادث اختفاء أمير الذى صدم الجميع.

الإدارة التعليمية انزعجت، وبادر مدير الإدارة الأستاذ عبد العال بزيارة "نور المعرفة"، فحادث اختفاء طالب مثل أمير سيكونُ له تداعيات وخاصةً أن الصحف لم تكف عن السؤال: "من وراء حادث اختفاء المدير الصغير؟".. كما أطلقوا عليه. سؤالٌ سيظلُ عالقًا دون إجابة، الإدارة من جانبها تبحث وتحاول أن تصل إلى نتيجة، وكان أول ما فعلته هو استدعاء الطالب ياسر بهجت، كان لهذا الاستدعاء بالغ الأثر على نفسيّة ياسر، كان محبطًا مذهولاً لا يُصدّق، هل يمكن أن يشك أحدٌ فى أنّه وراء ما جرى؟ ولمَ لا ونظرات زملائه فى المدرسة كسهامٍ مسنونةٍ توحى بذلك، ماذا عليه أن يفعل؟ وكيف سيواجه اتهامًا بهذا الحجم؟ مايزال صغيرًا ويمر بتجربةٍ صعبةٍ، هذه أول مرة يواجه موقفًا كهذا، شعر حينها أنه يحتاجُ إلى شخص كبير يستطيعُ أن يسدى إليه نصيحةً تعينه، لجأ إلى أبيه.. وحين دخل فى حضنه الواسع شعر بالطمأنينة والدفء، مكث لثوانٍ حتى يتخلص من همومه الكثيرة ويُنزل مخاوفه التى يحملها على كتفيه منذ فترة، الآن يمكنه أن يبكى ويشكو وأن يطلب النصيحة، لا تخجل أبدًا من طلب النصيحة. لا يعرف حين عاد إلى بيته مهمومًا ماذا يفعل وهو ينتظر تحقيقًا فى الإدارة التعليمية غدًا.

قال لأبيه إنه يشعر أن البعض يحكم عليه بالإدانة دون تحقيقٍ ودون أدلةٍ. وأقسم لأبيه وهو يبكى منهارًا أنّه لم يفعل شيئًا.
قال له الأب: "يا بُنى.. الشدائد تصنعُ الرجال، وأن تمر بمحنةٍ فى الحياة يعنى أن تخرج منها وقد اشتد عودك وأصبحت أكثر صلابة، إن كنت فعلت خطأً عليك أن تواجه وتتحمّل نتيجة فعلك، وإن لم تكن قد ارتكبت أخطاءً فلا يجب أن تركن للبكاء، بل عليك أن تواجه الجميع وتدافع عن نفسك. هيا لنجلس سويًّا لنعرف ماذا يمكننا أن نفعلَ حتى نواجه المشكلة معًا؟ لكن قبل كل شيء عليك أن تكتب رسالةً لصديقك الغائب تعبر فيها عن مشاعرك تجاهه.
- "أنا أحبك يا أمير صدقنى..
وأتمنى أن تعود سريعًا سالمًا أيها المدير الصغير"
ضغط على مفتاح إنتر.. لينشر "البوست" على صفحته.

الاجتماع المُهم

كان الاجتماعُ فى الإدارةِ عاصفًا، حيث استغل بعضُ رافضي فكرة "الإدارة الذاتية" ما جرى مؤخرًا فى مدرسة "نور المعرفة"من فوضى عقب اختفاء أمير، ووجدوها فرصةً جيدةً للهجوم الشرس على فكرة "الإدارة الذاتية".. الفكرة المجنونة التى طرحها أمير وتبنّتها الوزارة، لمَّا رأتها طريقةً لتصحيح العملية التعليمية فى المدارس التى هجرها الطلبةُ بسبب إلغاء الأنشطةِ التى لم تعد موجودةً. البعضُ الآخر هاجم فكرة "الإدارة الذاتية" للمدرسة، تصوّرها فكرة خيالية.. فالأولاد مازلوا صغارًا على تحمُّل المسؤولية، وقد وجدوا فى اختفاء أمير فرصتهم ليوجّهوا النقد لتلك الفكرة الجديدة. بعضُ النّاس يقاومون الأفكار الجديدة.. يخشون كلَّ جديد حتى لو كان نافعًا، لا يعطون أنفسهم وقتًا لدراسة الفكرة الجديدة ويقاومون التغيير، هؤلاء يرفضون كلَّ تطوّرٍ، يتهكمون على كلِّ صاحبِ فكرةٍ جديدة؛ معظمُ الابتكارات الجديدة التى غيّرت حياتنا إلى الأفضل كانت فى البداية فكرةً غريبةً رفضها البعض وتحمّس لها البعض الآخر.

قالت الأم لأمير ذات مساء:

- لا تخجل من فكرتك حتى ولو كانت جديدةً غريبةً.. لا تخجل من أحلامك يا أمير.. لا تخجل منها، "لاري بيج" مؤسس "جوجل" ذكر أن فكرة مُحرّك البحث الأشهر في العالم شاهدها في حلمٍ وهو نائم.

لاذ الأستاذ عبد العال مدير الإدارة بالصمت إزاء هذا الهجوم، جلس على المائدةِ حزينًا صامتًا طيلة الاجتماع، يستمعُ إلى صيحاتِ المعترضين،

كانوا يرغبون فى صدور قرار بإلغاء نظام "الإدارة الذاتية" الذى انتهى بحادث اختفاء أمير وأحدث كلَّ هذه الفوضى، وقد أوعز له أحدهم سرًّا أنَّ الوزير ربما يصدر قرارًا بنقله من موقعه عقابًا له بعد أن فشلت الفكرة التى تحمّل تنفيذها على مسؤوليته وحده، كان الأستاذ عبد العال يرى فى قرارةِ نفسِه أن نظام "الإدارة الذاتية" ناجحٌ، ولولا اختفاء أمير الذى حدث فجأةً ودون سببٍ واضحٍ لتبدّل الحال، المدرسةُ كانت تسير بمعدلات جودةٍ عالية وفقًا لكلِّ المقاييس العلمية، الطلبةُ منتظمون فى فصولهم، معدلات الغياب انخفضت لأدنى مستوياتها، معنويات الطلاب كانت عاليةً، والأنشطة تُمارس باستمرار طبقًا للجدول، وقد منحت الطلاب فرصةً للتعبير عن ذواتهم وطموحاتهم وقدراتهم الفنية والأدبية والرياضية، لابد لكلِّ إنسانٍ من هوايةٍ يُطلقُ فيها طموحاته ورغباته ومتعته؛ القراءة، الرياضة، المسرح والتمثيل، الرسم، كرة القدم.. كلها هوايات تُسعد النّفس وتُدخلُ البهجة وتُطلق طاقة الإنسان، كلُّ طالبٍ اندمج فى هوايته التى أحبها ومارسها بعشقٍ وكانت دافعًا له للتقدم الدراسي، السعداءُ يستطيعون أن ينجحوا أكثر ويحققوا طموحهم العلمى. شهدت الآونة الأخيرة ارتفاعًا فى عدد الطلاب الراغبين فى الانضمام والمشاركة بفاعلية فى الأنشطة المختلفة. الهواية تُبعد المرء عن التطرُّف والعنف وتُهذّب سلوكه. المدهش أنّه لا يعرف سببًا لاختفاء أمير بعد كلِّ هذا النّجاح الذى تحقق فى "نور المعرفة"، ربما يكون هذا النجاح هو السبب فى اختفاء أمير!!

ها هو الاجتماع قد انتهى بقرارٍ واحد؛ وهو تشكيل لجنةٍ لزيارة مدرسة "نور المعرفة" خلال يومين لإجراء تحقيقٍ عاجل، وبعدها ربما تُصدر اللجنة توصية بإنهاء هذا النّظام على الفور وعودة "نور المعرفة" إلى

نظامها القديم.. وعودة السيد عبد المنعم مراد إلى موقعه ليديرها.
الأحداثُ تتوالى دون ترتيب، الرائد حسين الشبوكشي ينتظرُ التحريات من الأمين رفاعى، نسبة الغياب فى المدرسةِ عادت للارتفاع، الأنشطةُ توقفت، وياسر بهجت مازل يجلسُ فى بيته يخشي مواجهة زملائه، وأم أمير تبكى حرقةً على اختفاء ابنها، والد أمير حصل على إجازة وسيأتى ليتابع بنفسه حادث اختفاء ابنه، جودى تبكى طوال الوقت كلما تذكرت حادثة اختفاء أمير، أحمد وشريف لم يعد لهما رغبة فى الذهاب لنور المعرفة، لم يعد هناك طابور صباح ولا أنشطة ولا حصص، المدرسةُ تنتظرُ وصول لجنة الإدارةِ لينتهى كلُّ شيء ويعودُ النّظام القديم بعد أن دخلت "نور المعرفة" فى حالةِ الفوضي التى تضرُّ بالعمليةِ التعليميةِ بعد حادث الاختفاء العجيب.

دوائر الاشتباه

قال الرائد حسين الشبوكشي وهو يشيرُ للأمين رفاعى على الدوائر التى رسمها بالقلمِ الجاف فى ورقةٍ بيضاء، وضع فى إحداهما اسم "ياسر بهجت"، وفي الدائرة الثانيةِ وضع اسم "عبد المنعم مراد"، أما الدائرة الثالثة فكانت فارغة:

- علينا يا رفاعى أن نُوسِّع دائرة الاشتباه، لا يجبُ أن نحصر الاتهام فى أناس داخل المدرسة فقط، ربما يكون الجانى من خارج المدرسة.

- وهل تشكُ فى أحد بعينه يا حضرة الرائد؟

- لا.. ولكن علينا أن نبحثَ ونضعَ حسابًا لكل الفروض، ربما يكون اختفاء أمير دافعه المال.. أحدهم اختطفه من أجل مساومة أبيه وأمه على فدية لإطلاق سراحه.

- لكن لم يتصل أحدٌ بأمه ليطلب فديةً حتى الآن.

- ربما ينتظرُ الجانى حتى تهدأ الأمور، ثم يتصلُ ليطلب الفديةَ، أو ربما اتصل الجانى بالأم بالفعل.

- لكن الأم لم تبلغنا.

- ربما هددها الجانى وطلب منها ألا تبلغ الشرطة.

انطلق الرائد الشبوكشي لينفِّذ خطته، بينما كانت جودى تجلسُ فى غرفةٍ مظلمةٍ لا تكلم أحدًا، كانت عاجزةً لا تعرفُ ماذا تفعل، عاد أبوها الأستاذ مراد عبد المنعم من اجتماع الإدارة.. وعندما فتح باب حجرة جودى وجدها صامتةً حزينةً، تلقَّفها فى حضنه ومرَّر كفَّ يده الحنون على شعرها وطلب منها أن تخرج إلى الصالةِ لتتناول معه الغداء، وأمام

إلحاح أبيها وافقت وخرجت بصحبته، تهللت الأم سعيدةً وقبَّلتها وأجلستها إلى جوارها على المائدة، تناولت جودي طعامها بصعوبة.
- سأخبرك بأمرٍ سار يا جودى.
تهللت ملامحها سعيدةً: هل عاد أمير يا أبي؟
- لا يا جودى، الشرطةُ تجرى تحرياتها لمعرفةِ مكانه.
تنبَّهت الأمُ إلى حالةِ الحزن التى خيَّمت على وجه جودى.. بينما كان الأبُ يُكملُ حديثه.
- قررنا فى اجتماعِ الإدارةِ اليوم أن نُشكّل لجنةً لزيارة "نور المعرفة" تمهيدًا لعودةِ الدراسة إليها.
- هل تقصدُ يا أبي أن تعودَ الدراسةُ قبل أن يعودَ أمير؟
- نعم يا جودى، لا يُمكن أن تقفَ الدراسةُ وتتعطل لحين عودته.
- معقول يا أبي.. الإدارة لا تهتم بأمير؟
- الشرطة تقوم بواجبها، والدراسةُ فى "نور المعرفة" لا يجب أن تتوقف حرصًا على مصلحةِ الطلابِ ومستقبلهم.
- ومن سيديرُ "نور المعرفة"؟
- ربما تعود للنّظام القديم.
- وتعود أنت يا أبي لتدير "نور المعرفة"؟
- هذا النظام المسمى "الإدارة الذاتية" ثبت فشله يا جودى، وانتهى به الحال إلى توقف الدراسة، لا يجب أن تتوقف المدرسة والدراسة على شخصٍ مهما كان.. حرصًا على مصلحة الطلاب.
انطلقت جودى عائدةً إلى حجرتها باكيةً حزينةً.

فى حجرة الموت

حين فتح عينيه كان الظلامُ يلفّ المكان، شعاع ضوءٍ بسيط يتسرّبُ من الشبّاك، كان أمير مذهولاً.. ما الذى أتى به إلى هذه الغرفة؟ غرفة صغيرة ضيّقة، هل لعبة الطائر العجوز هى التى أوصلته إلى هذه الغرفة؟ هل حدث خطأ وهو يمارس تمارينها؟ ربما.. لا يتذكر جيدًا ما حدث، لو كان معه جهازه المحمول لحدد عن طريق "جوجل إرث" مكان الغرفة بالضبط. بدأ فى التعرّف على محتوياتِ الغرفة، هكذا فكر أمير.. لابد أن يتعرّف على المكان، كان يريدُ أن يطرد مشاعر الخوفِ التى سيطرت على نفسه. ما الذى أتى به إلى هنا؟ راح يتذكر منذ أن أصابه الدوارُ فجأةً، تحسس أمير بيديه.. وجد كرسيًّا، وقف.. ثم تحرك إلى اليمين قليلاً.. وجد منضدةً صغيرةً، حاول أن يبصر شيئًا من فتحات الشيش الصغيرةِ.. لم ير سوى فضاء واسع من الأشجار، يبدو أن الطائر حمله إلى منطقةٍ نائيةٍ بعيدةٍ عن المدن.. صرخ:

- لن ألعب هذه اللعبة ثانيةً، لم أكن أعرف أنها مخاطرةٌ كبيرة.

كان أمير خائفًا، لم يكن يعرفُ كيف سيتصرفُ ليعودَ إلى بيته ثانيةً، فكر أن يقومَ بتمارين لعبةِ الطائر العجوز.. ربما يُعيده الطائر إلى بيته، وحين قام ليمارسَ تمارينه كان مرتعدًا إلى حد أنّه قرر ألّا يجرب أن يلعب لعبةَ الطائر العجوز ثانيةً.. فلا يعرفُ إلى أين ستذهبُ به المرةُ القادمة؟ هذه المرة هو داخل غرفةٍ مغلقة مظلمة، تعرّف على بعضِ محتوياتها فى رحلة الاستطلاع الأولى، تسرّب إليه الخوف للحظات ثم قرر أن يتماسك حتى يستطيعَ أن يرتب أفكاره ويتعامل مع الأزمةِ

بذكاء، تذكّر مقولةِ أبيه له: "إن الخائف لا يفكر". وكان قراره الأول أن يطرد الهواجسَ من رأسه وأن يتعرّفَ على محتويات الغرفة جيدًا، بدأ رحلةً أخرى أبعد من الأولى، وهو فى طريقه إلى الشبّاك فكر في إمكانيةِ فتحه ليرى العالم خارج هذه الغرفة الضيقة، حين وصل إلى حافّةِ الشبّاك راودته فكرةُ الهرب، هل يمكنه فتح الشبّاك والقفز منه إلى الخارج.. والفرار من هنا؟ حاول فتحه لكنّه كان مُغلقًا بإحكام، قرر أن يُؤجل التفكير فى الهرب من الغرفةِ الآن، عندما تتعثر فكرة فلا تكف عن مواصلةِ التفكير فى حلولٍ أخرى. تلمّس الحائط وراح بكفّيه يبحث- والأمل يحدوه- عن مفتاح الإنارة، تلمّس أكثر وجال بيده حتى وجد المفتاح، فكّر لثوانٍ ثم ضغط فجأةً.. أنارت الحجرة، ابتسم أمير حين عرف أنه استطاع أن يفعل شيئًا، أحيانًا بعض النجاحات الصغيرةِ تدفعنا إلى مزيدٍ من النجاح والتفوق، لا يجبُ أن نسخرَ من نتيجةٍ بسيطةٍ نحققها فقد تكون دافعًا لتحقيق غايةٍ أسمى. وجد زجاجة مياه على المنضدة، تذكّر أنّه ظمآن، شرب حتى ارتوى، البهجةُ علت ملامحه، ربما لو وجد هاتفه المحمول سيمكنه مخاطبة أصحابه وسيعرفون مكانه عن طريق ضبط الخرائط على "جوجل".. يبدو أن المهمةَ ستكونُ سهلةً. بحث فى جيوب بنطاله علّه يعثر على هاتفه، بحث فى كل الجيوب.. لم يعثر عليه. كان الأملُ يحدوه فى الخروج من هذا السجن الصغير سريعًا، لا يعرف لماذا حمله الطائر العجوز إلى هذه الغرفة؟ ربما ارتكب خطأً وهو يمارس تمارين اللعبة.. لا يتذكر، كثرةُ التفكير أصابته بالإرهاق، لم يعد قادرًا على التفكير السليم، عليه أن يرتاح قليلاً، حتى الهرب يبدو صعبًا، ربما كان بينه وبين المدينة صحراء شاسعة، لن يستطيعَ اجتيازها حيًّا. صرخ أمير بأعلى صوته:

ـ يجبُ أن أعود إلى أمى.. ومدرستى وأصحابي.
لكن رغم صياحه لم يرد عليه أحدٌ، كان الصمتُ مُخيّمًا على المكان، والهدوء والصمت يزيدان من حدة توتر أمير، حتى الآن لا يعرف أين هو، ولا مكان هذه الغرفة الصغيرة التى سجن بها.
بكى وصرخ وحزن، لكنه لم يجد مفرًّا من الانتظار.. انتظار المجهول، ربما بعد قليل يتكشّفُ له غموض ما يجرى حوله.. وما يحدث له، ما أحوجه لهدأةٍ دون تفكير، كان مُتعبًا مُرهقًا، ألقى جسده على السرير، راح فى نومٍ عميق.. نوم سيستيقظ منه وهو لا يعرف كم من الوقت قد مر عليه وهو نائم داخل محبسه فى الغرفةِ الصغيرةِ، ربما يأتيه الطائر وهو نائم ليحمله إلى بيته وأمه وأصحابه، كان الحلم جميلاً.. حين رآه يفردُ جناحيه ليحيط به ويحمله فى رفقٍ، حلمُ العودةِ إلى البيتِ والأمان.
أين أنت أيها الطائر العجوز؟
هيا احملنى الآن وعد بي سريعًا.

الخطة البديلة

"ماذا يحدثُ عندما يختفى القائد؟".. بدأ النقيبُ حسام الجوهرى حديثه للأولاد الذين حضروا لكى يسألوا عن مصير صديقهم أمير وماذا جرى فى التحقيقات؟ وعندما سألهم النقيبُ حسام الجوهرى عن حالِ المدرسة.. وجدهم تعساء ضائعين.

قال شريف: للأسف كل شيء انتهى.

- لا أفهم.

- لم يعد هناك طابور صباح ولا أنشطة ولا حصص منذ اختفاء أمير.

- لما توقفون الدراسة وتغيبون عن "نور المعرفة"؟

نظر أحمد إلى الأرضِ والدموعُ فى عينيه:

- كيف نذهبُ للمدرسةِ بدون أمير؟

كانت جودى تسرحُ فى البعيد وهى تقولُ حزينة:

- ستعود "نور المعرفة" للإدارة قريبًا، لم يتبق سوى يومين وينتهى كلُّ شيء، علمت ذلك من أبي. حلمنا سينتهى بعد اختفاء أمير.

القلق استبد بالنقيب حسام الجوهرى، ورغم حزنه على اختفاء ابنه أمير إلا أنه فكر طويلاً: كيف يخرج هؤلاء الأولاد من تلك الحالةِ النفسيةِ السيئةِ التى ألمَّت بهم؟ فكر ثم طرح السؤال الآتى على الأولاد:

- ماذا يحدث عندما يختفى القائد؟

نظر الأولادُ إليه فى دهشةٍ من السؤال المباغت، لم يجب أحدٌ منهم ولاذوا بالصمتِ.. فأكمل حديثه:

- لو استسلم الجنود لليأس فى غياب القائد، ماذا سيحدث؟

تطلع الأولاد وهم ينتظرون الإجابة.
- الهزيمة.
كانت الإجابة صادمة. نظرت جودى بدهشةٍ وقلقٍ وقالت بحزن:
- الهزيمة!!
- نعم.. عندما ينهار الجنود فى المعركة بالتأكيد سيُهزمون بسبب فقدهم لقائدهم.
قال شريف: الهزيمة نهاية موجعة.
- هل تعرفون معنى الهزيمة؟
طرح النقيبُ السؤال ولم ينتظر الإجابة. شرح للأولاد كيف أن الهزيمة تؤثر على الوطن كله. وهنا وقف أحمد وهو يصرخ:
- خسائر لا حدود لها.
ضم النقيب الأولاد بين ذراعيه وقال:
- لا يوجد سوى طريق واحد للنصر.
تطلع الأولاد فى لهفةٍ وقالوا فى صوتٍ واحد:
- وما هو؟
وسط شغف الأولاد لمعرفةِ المصير وطريق النجاة.. بدأ النقيب حسام الجوهرى يشرحُ لهم.. أن هناك فى العلوم العسكرية ما يُسمى بالخطةِ البديلة، الخطةُ البديلةُ تبدأ بكيفية اختيار القائد البديل، القائد البديل يحل محل القائد السابق ليحافظ على القوات ويكمل الخطط ويقود المعارك.. لكى تحقق القوات العسكرية مهامها بنجاح.
كانت تلك هى الكلمات التى قالها النقيب حسام الجوهرى والد أمير لزملاء ابنه؛ أحمد وجودى وشريف.. بعدما زاروه اليوم ليعرفوا أخبار أمير، أخبرهم النقيب أنه يعلم تمامًا أن الشرطة تقوم بواجبها، وأن

الرائد حسين الشبوكشي يقوم بتحقيقاته فى واقعةِ اختفاء أمير، ونتيجة التحقيقات لم تُعرف بعد لأنها تجرى فى سرّيةٍ تامة حفاظًا على حياة أمير.

نزل الأولادُ من شقةِ أمير والأسئلةُ تدور فى عقولهم.. قال أحمد:

- فهمت مقصد والد أمير، نريدُ خطةً بديلةً لإنقاذ "نور المعرفة".

قالت جودى: ليس أمامنا سوى يومين فقط قبل أن تحضر لجنة الإدارة وتنهى طريقة "الإدارة الذاتية" فى "نور المعرفة".

رد شريف: ويضيع حلمُ أمير.

قال أحمد: بل يضيعُ حلمنا جميعًا.. وليس حلم أمير وحده.

قالت جودى: علينا أن نفكر فى الخطةِ البديلةِ لإنقاذ المدرسة، مثلما يفعلُ الجندُ فى العمليات العسكرية.

قال أحمد: ليس أمامنا سوى اختيار مدير بديل.

قال شريف: لا.. إنها خيانة لصديقنا أمير، كيف سنختارُ غيره؟!

صمت الأولادُ بعد حديث شريف لدقائق.. لكن جودى قالت:

- ليست خيانةً لأمير، الخيانةُ أن نضيع جهده وحلمه فى "نور المعرفة" ونجلس لنتباكى.

- عندك حق يا جودى يجب أن ننقذ "نور المعرفة".. وعندما يعود أمير يجدها كما تركها.. بل أفضل.

- وماذا سنفعل؟

- هل سنجرى انتخابات أخرى لاختيار البديل؟

- لا.. ليس أمامنا وقت، الإدارة لن تمهلنا لفعل هذا.

- صحيح.. الانتخابات تحتاج إلى مرشحين ومنافسة ووقت.

- وماذا سنفعل؟

- علينا أن نفكر فى الخطةِ البديلةِ التى تحدّث عنها والد أمير.
- وجدت الخطةَ البديلةَ، لن نحتاج إلى انتخابات.
- حقًّا.. وننقذ "نور المعرفة"؟
- نعم.. سننقذها بالخطةِ البديلة.

الرسالة الأولى

حين فتح النقيبُ أسامة الجوهرى البريد الإلكترونى "الإيميل" وجد رسالةً تحملُ اسم "أمير"، الفرحةُ كانت غامرةً والسعادةُ حلّقت فوق رأسه، لم يتمالك نفسه وهو يفتح الرسالة، يحدوه الأمل أن يقرأ خبرًا سعيدًا عن ابنه، أخيرًا جاءت رسالةٌ من أمير، سيعرفُ منها أين مكانه؟ وسيذهبُ إليه حالاً لإحضاره. يتابع دوران التحميل أمام عينيه على شاشةِ الكمبيوتر فى لهفةٍ، ينتظرُ على أملٍ أن يرى حروفَ رسالةِ ابنه ليطمئن، شعر بارتياحٍ لأن ابنه على قيد الحياة وهذه أول رسالة منه، كلها ثوانٍ معدودة وسيقرأها فور أن تفتح.. وسيعرفُ منها كلَّ شيء، كان يود أن يصرخ ليخبر زوجته برسالةِ أمير وأنَّه بخير، لكنه وفى ثانيةٍ تراجع عن تلك الفكرةِ وقرر أن يُرجئ ذلك حتى يفرغ من قراءةِ الرسالة ويطمئن، ثم يخبرها لتطمئن هى الأخرى، منذ غياب ابنها وهى لا تأكل ولا تشرب ولا تنام، قلبُ الأم لا يحمل سوى الحب لوليدها.. لا تعرف الحياة بدونه، كان أمير كل حياتها.. والآن يبتعد عنها فجأةً ولا تعرف مكانه، كانت تخشى أن تكونَ السبب وراء اختفائه عندما حكت له حكايةَ الطائرِ العجوز ودرَّبته على تمارينها، هل اختلط الحلمُ بالواقع؟ هل ذهبت به الحكايةُ للبعيد حيث لن يعودَ من هناك؟ يسمعُ أنينها وبكاءها طوال الليل، يحاولُ جاهدًا طمأنتها.. لكن هيهات أن تطمئن قبل أن ترى أمير أمام عينيها، حتى هو كرجل يشعر بالقلق ولا يستطيعُ أن يسيطرَ على مشاعره؛ كيف وابنه أمير بعيدًا عن بيته وحضنه ولا

يعرف مكانه، لكن أخيرًا وصلت رسالته، عندما وصلت إشارةُ إتمام التحميل وضغط على زر الفتح.. وراح يلتهمُ الحروفَ بسرعةٍ جنونيةٍ، كان يريدُ أن يعرفَ مضمون الرسالة دفعةً واحدةً، ظل يقرأ الرسالة مرةً بعد مرةٍ ولا يكاد يصدق الصدمة، كانت مروِّعةً لا يقوى على تصديقها، ردّد بصوتٍ عالٍ: "غير معقول.. غير معقول". قرأ الرسالةَ عدة مرات ربما جاوزت المائة، تلك هى المرة الأولى بعد المائة التى يعيد قراءتها، تُرى ماذا يفعل؟ الحيرةُ تملّكت منه.. هل يخبر زوجته بما جرى مع أمير؟ لا يعرف مدى تأثير هذه الرسالة على أم تعشق ولدها، تردد النقيب، جلس أمام اللاب توب، المهلة الممنوحة قصيرة جدًا وأمير فى خطر.. خطر حقيقي، إنه فى أيدى أوغاد لا قلوب لهم ولا يعرفون الرحمة، لا يعرفون غير لغة الدم والقتل، يستبيحون كل شيء لأنفسهم، كيف سيتصرف الآن؟ القلقُ على ابنه أمير بلغ مداه، ضغط بكلتا يديه على رأسه الذى كاد أن ينفجرَ، ماذا عليه أن يفعلُ؟ الرسالةُ كانت تحمل عنوانًا صادمًا.. "فى حجرة الموت"، الرسالة تتضمنُ مطلبًا واحدًا فقط لإنقاذ أمير.

فكر طويلاً.. ثم قرر أن يخبر زوجته، لا داعى لأن يكتم عنها هذا الأمرَ، ابنها فى خطر ويجبُ أن تعلم، لكنّه أرجأ هذا الأمر وقرر أن يتصل أولاً بالرائد حسين الشوبكسي ليخبره بأمرِ الرسالةِ، حتى مطلبهم ليس فى يده وحده تحقيقه، إنّه مطلب صعب.. بل مستحيل، كيف سيفلت أمير من أيديهم؟ كيف سيخرج من حجرة الموت؟ الأمر صار صعبًا وأمير ابنه الوحيد فى خطر حقيقي ولا يعرف طريقةً لإنقاذه، لم يكن يتصور يومًا أن يصل هؤلاء إلى بيته.. إلى ابنه الوحيد، أن يضغطوا عليه هكذا بلا رحمة، إنّهم لا يملكون قلوبًا.. بل حجارة صمّاء فى صدورهم.

ما ذنب أمير.. هذا الولد الصغير؟ ولكن المجرم لا يفكر بعواطفه.. بل وفق مصالحه وأهوائه ومعتقداته. جلس أمام زوجته.. هربت الحروفُ من لسانه.. تردد لمحت قلقه، عرفت أنّه يُخفى عنها أمرًا يتعلقُ بابنها أمير، ملامحه خائفة مرتعدة وعيناه زائغتان وكفّه يرتعش، يبدو على غير عادته مترددًا، الكلماتُ تهربُ من بين شفتيه من شدةِ الحيرة.. صرخت خائفةً:

- هل جرى لأمير مكروه؟ هل أصابه سوء؟

- لا.. لا تخافى.. هو مايزال بخير.

- وأين هو؟

- سيعود.. سيعود سالمًا، لكن...

- لكن ماذا يا حسام؟ أخبرنى بالحقيقة.

- أمير فى موقف صعب.

شهقت الأمُ خوفًا على ابنها، وضعت رأسها بين كفّيها تترقبُ ما يمكن أن يقوله زوجها، بالتأكيد أصاب أمير مكروه، قلبها تتسارع دقاته خوفًا وقلقًا على ابنها، صعبٌ على الأم أن تتصوّرَ مكروهًا يصيبُ ولدها، إنّه أعز وأغلى عليها من نفسها، كانت تستجدى زوجها أن يخبرها. أما هو فكان مترددًا، العرقُ يغطى جبهته وعيناه حائرتان تنظران إلى سقفِ البيت، لا يريد أن ينظر إلى عينىّ زوجته الدامعتين المرهقتين من طول السهر فى انتظار الغائب.. فلذة كبدها وحياتها وبهجتها فى الحياة، قال بحروف متكسرة:

- جاءتنى رسالة.

- من أمير؟

- لا.. ليست من أمير، إنها رسالة من.. من...

كانت عيناها الزائغتان تستجديان من زوجها الخبر، بينما كان زوجها النقيب متعثرًا فى حديثه، كيف سيخبرها بتلك الكارثةِ التى وقعت لابنهما؟

- خطفوا أمير.

الدهشةُ ارتسمت على وجهها غير مصدقة:

- من هم يا حسام؟ مَنْ يخطفُ صغيرًا مثل ولدى أمير.. إنّه لا يؤذى أحدًا.

ولم يجد مفرًّا من أن يحكى لها.. عن الرسالةِ الأولى.

غرفة الإعدام

انتظر أمير الدقائق وهى تمرُ ببطءٍ.. وهو لا يفعلُ شيئًا سوى الانتظار، ما أقسى ساعات الانتظار التى تقضيها وحيدًا داخل غرفةٍ محكمة الغلق، القلق والوحدة والترقب يقتلونه، جلس فى سريره مكتئبًا، لا يعرف ماذا عليه أن يفعل؟ هل يظلُ هكذا يقتله طول الانتظار؟ ربما يفقد أعصابه الآن، عليه أن يفكرَ فى طريقةٍ للخلاص من الشعور بالملل، هو نائمٌ على ظهره يتطلعُ إلى سقفِ الحجرةِ فى انتظارِ المجهول. راودته فكرةُ الهربِ الآن.. سيطرت عليه، بدأ يجول ببصره فى الحجرة باحثًا عن طريقةٍ للهرب، لكن كيف وباب الغرفة مغلقٌ بإحكامٍ.. وشبّاكها كذلك؟ كيف يستطيع الخروج منها؟ هل هناك طريقة تُخرجه من هذا الحبس الانفرادى؟ قفز سعيدًا كأنّه تذكر حيلةً، اتجه ناحية الشبّاك، هذه المرة حمل لوحًا خشبيًّا من السرير الذى كان ينامُ عليه، بدأ يفكر جديًّا فى كسر الشبّاك.. وحين سمع صوت أقدام قادمة توقف عن الحركة، فجأةً يقتحمُ الغرفةَ رجلان ملثَّمان، يحمل أحدهما بندقيةً آلية والآخر يحمل مسدسًا، شعر أمير بالخوف.. انكمش وضمَّ ركبتيه وارتكن إلى الحائط، نظر أحدهما إليه.. وبإشارة منه تعنى أن يلزم الصمت ولا يتكلم، كانا يتناجيان سرًّا، أخرج أحدهما حزامًا ناسفًا.. ودون تفكير قام بلفِّ الحزام الناسف حول خصر الآخر، وفور أن انتهى نظر لزميله كأنّه يودِّعه:

- سيكون موعدنا الجنة يا أخي منصور .

- إن شاء الله.
- احرص على تنفيذ كل التعليمات، ستصلك رسائلنا وعليك أن تنفّذها فورًا.
- على بركة الله.
- الشهادة يا أخى هى الغاية، تذكّر هذه المقولة دائمًا.
- نعم.. الشهادة هى غايتنا.
- ستمكث هنا فى هذه الحجرة مع هذا الصبي بضعة أيام حتى يذعنوا ويلبّوا مطالبنا.
- السمع والطاعة.
- إذا لبّوا مطالبنا ستصلك رسالة منَّا، بعدها ستتلو الشهادة وتنفّذ ما اتفقنا عليه.
- هذا صبي صغير.. ما ذنبه؟
- عليك السمع والطاعة كما تعلمت يا منصور، ليس لنا أن نناقش.. علينا الطاعة.

يحتضنه وينصرف سريعًا بعد أن يغلق باب الغرفة جيدًا من الخارج، منصور يشهر السلاح فى وجه أمير.. الذى تملَّكه الرعب، لا يفهم ما يجرى؟! ولا من هذين الرجلين؟!

يشير منصور إلى أمير وهو يصرخ:

- اجلس مكانك أيها الصغير ولا تتحرك.

تكوَّر جسد أمير فى السرير على أثر صراخ الرجل.

- لا تتلكأ فى تنفيذ أى أمر أصدره إليك وإلا ستكون العاقبة وخيمةً، هل تفهم؟

أمير يهز رأسه علامةَ الموافقةِ وهو يرتعدُ ويتحركُ ببطء.

- هل أنت أخرس؟ انطق.
- حاضر.
يضع الرجل بندقيته على المنضدةِ ويتمتمُ بأدعية.. ثم قال لأمير:
- إياك أن تفعل شيئًا لا أريده، ساعتها سيكون مصيرك الموت.
كان أمير يرتعدُ وهو يفتح فمه بالكاد والحروفُ تتساقط منه:
- من فضلك.. هل يمكننى أن أسألك؟
- ماذا تريدُ يا فتى؟
- لماذا يفعلُ معى الطائرُ ذلك؟
- أى طائر؟
- الطائرُ الذى أحضرنى إلى هنا.. إلى حجرة الموت هذه.

خطة العودة

كان الاجتماعُ المهم.. وربما يكونُ الأخير فى الإدارةِ التعليميةِ الذى سيقرر مصير "الإدارة الذاتية" فى مدرسةِ "نور المعرفة"، يحاولُ السيد عبد العال مدير الإدارة- بكل الطرقِ- أن يقنعَ الجميع بضرورةِ الإبقاء على هذا النّظام.. ومعه عددٌ قليل من خبراء التعليم، حين شاهدوا بأعينهم نجاحَ التجربةِ وكيف سارت العملية التعليمية داخل "نور المعرفة"، هذه المبررات لم تجد أذنًا لتسمع، يبدو أن مدير الإدارة كان يسبح ضد التيار، الأغلبية يرون إنهاء النّظام وخاصة بعد حادثةِ اختفاء أمير.. وما تبعه من انهيارٍ تام للنّظام فى المدرسةِ، اللجنةُ ستذهبُ غدًا إلى المدرسةِ لتكتب تقريرها، ولا يشك أحدٌ فى أن رئيس اللجنة السيد مراد عبد المنعم.. المدير السابق لـ "نور المعرفة" لديه رغبة فى إفشالِ هذا النّظام وضرورة إنهائه فورًا، قال يومها وهو غاضبٌ وفى صوته نبرةُ حزن: "لا يوجد نظامٌ يعتمدُ على فردٍ واحد، بمجرد اختفاء صاحب الفكرةِ ينهارُ النظامُ وتنهارُ المدرسة". كان هذا رأى الأستاذ مراد الذى أفصح عنه بقوةٍ فى الاجتماعِ العاصفِ حيث تعالت الأصواتُ على المنضدةِ وأغلبهم يؤيدونه. وكان من بين ما قاله: "إن عمل اللجنة غدًا مجرد تحصيل حاصل، فالنتيجةُ معروفةٌ.. وهى ضرورة إنهاءِ نظام "الإدارةِ الذاتيةِ" للمدرسة، وعودةُ النظامِ القديمِ فى الإدارةِ، النظام الذى كان يقوده هو بكلِّ حزمٍ وقوةٍ لمنع تلك الفوضى التى حدثت الآن فى المدرسةِ، حيث لا حصص ولا طابور صباح ولا حتى أنشطة".

أراد السيد عبد العال مدير الإدارة إنهاء هذا الجدال المحتدم بين الفريقين، وقَّع على قرار تشكيل لجنة تتجه إلى مدرسةِ "نور المعرفة" غدًا.. وكتابة تقريرها عن وضعِ المدرسةِ، وإذا انتهت اللجنةُ فى تقريرها إلى ضرورةِ إنهاءِ نظام "الإدارة الذاتية" سيتخذُ قرارًا بذاك فورًا؛ لتعود "نور المعرفة" إلى عهدها القديم. انتهى الاجتماعُ العاصفُ بهذه النتيجةِ وفى انتظار الغد.

كان الأستاذ عبد العال مدير الإدارة التعليمية غاضبًا مستاءً مما جرى، كان يود أن تنجحَ تلك التجربة.. وقد نجحت حقًّا، ولولا اختفاء أمير فجأةً لما توقَّف هذا التقدمُ المذهل، الجميعُ كان مُرحِّبًا بالتجربةِ الجديدة حيث يدير الطلاب شؤونهم، المدرسةُ كانت تتقدمُ وفق معدلات جودةٍ عاليةٍ وغير مسبوقةٍ، الأولاد سعداء والدراسةُ منتظمةٌ والأنشطةُ تُمارس داخل المدرسة بالتعاون مع الجهات الأخرى، شيءٌ مذهلٌ أن ترى المدرسةَ تعملُ مع وزارة الثقافةِ ووزارةِ الرياضةِ والمحليات، كأنَّه حلم رائع وجميل.. وفجأةً انهار كلُّ شيء. ما الخطأ الذى حدث وأنهى تلك التجربة الثرية التى كانت تقودُ التعليم إلى مجالٍ أفضل؟

كتبت جودى على صفحتها:

- حلم أمير سينتهى غدًا فى "نور المعرفة".

أرسل لها أحمد "إيموشن" تعبير الدهشة والتعجُّب، بينما وضع شريف علامةَ الإحباطِ وعدم التفاؤل على "بوست" جودى.. وكتب:

- هل كان الحلم حلم أمير فقط؟

ردت جودى: ماذا تقصدُ يا شريف؟

كتب أحمد: إنَّه حلمنا جميعًا يا جودى.

كتبت جودى: وأمير الذى اختفى؟

كتبت شريف: حقه أن نحافظ على حلمه حتى يعودَ ولا نضيّعه.
كتب أحمد: وهل سيعودُ أمير؟
كتب شريف: أثق فى أنَّه سيعود.
كتبت جودى: والده النقيب حسام الجوهرى قال لنا.. ماذا يحدث عندما يختفى القائد.
كتب شريف: الخطة البديلة.
كتب أحمد: وهل لدينا خطةٌ بديلةٌ؟
كتبت جودى: علينا أن نفكرَ فى البحثِ عن قائدٍ آخر بديل لأمير.
كتب أحمد: ليس لدينا وقت، اللجنةُ ستحضرُ غدًا.
كتب شريف: وجدتها.
كتب أحمد: حقًّا.
كتبت جودى: وما هى الخطةُ البديلة؟
كتب أحمد: يد واحدة.
كتب شريف: ماذا تعنى؟
كتبت جودى: فهمت مقصدك.. لسنا فى حاجةٍ لقائد بديل.
كتب أحمد:التعاون كلنا يد واحدة.. كلنا القائد.. كلنا أمير.
كتب شريف: سنفعلها.
جودى: من الآن سنعملُ معًا.
كتب أحمد: من أين نبدأ؟
كتب شريف: وكيف سنعيد زملاءنا إلى الانتظام فى الدراسة غدًا؟
جودى: لدى فكرةٌ عبقرية.
كتب أحمد: ما هى يا جودى؟
كتبت جودى: مفاجأة.

كتب شريف: ماذا ستصنعين يا جودى؟ أخشي من مفاجآتك
كتبت جودى : غدًا فى المدرسةِ سيكون يومًا مُدهشًا.

المُقايضة

أمير الآن فى خطرٍ حقيقي، نظر إلى رباطةِ جأش والده النقيب حسام الجوهرى، وهو يُدركُ حجم الألم الذى يعتصرُ قلب هذا الأب الذى يقفُ أمامه صامدًا، لكنّه يُدركُ ما بداخله من معاناةٍ وألمٍ وقلقٍ على صغيره. حين طالع الرسالة وقرأها بمنتهى الدقةِ، عرف أن الأمرَ قد خرج عن حدودِ صلاحياته، أخبر النقيب حسام الجوهرى بضرورةِ إطلاع السلطات العليا على تلك الرسالةِ لكى يتخذوا القرار المناسب حفاظًا على حياةِ أمير. قال الرائد الشبوكشي: "إن لم نلب طلباتهم ربما يفتكون بالصبي". ليس أمام الرجل خيارات كثيرة، الرسالةُ واضحةٌ "إن لم تُفرج السلطات عن أمير الجماعةِ الإرهابيةِ الذى قبض عليه النقيب الجوهرى أثناء معاركه مع الإرهابيين سيفتكون بابنه أمير". النقيب كان يعرفُ أن هناك ثمنًا يدفعه الشرفاءُ وهم يحافظون على أوطانهم ومبادئهم، الإرهابيون قلوبهم غليظةٌ، لن يشعروا بالألم وهم يقتلون صبيًّا صغيرًا مثل أمير، الإرهابي لا يفكر، عقله متحجّر.. فقد أعظم صفة للإنسان وهى الرحمة، لن يرحموا أمير، وليس أمام النقيب حسام الجوهرى سوى أن يخاطب السلطات للإفراج عن ذلك الإرهابي أمير الجماعة من أجل ضمان حياة ابنه الوحيد. هل سيطلب الموافقة على تلك المقايضة الظالمة؟ مقايضة ابنه أمير بذلك الإرهابي المتعصّب القاتل، ما أصعب تلك المقايضة. يتذكّر كيف استقبلت الأم تلك الرسالة، إنها ترقدُ الآن فى المستشفى بغرفةِ العنايةِ المركزةِ منذ أن علمت أن ابنها أمير فى قبضةِ الإرهابيين، انهارت وتوسلت لزوجها كى يسعى لإنقاذ ابنهما الوحيد، وأن يخاطب السلطات للإفراجِ عن الإرهابي أمير التنظيم من أجل عودةِ

ابنها، لكنها صُدمت من ردةِ فعله، فى داخله يرفضُ تلك المقايضة، لم تفهم كيف بدًا قاسيًا غير عابئ بمصير ابنه أمير، حاول أن يشرحَ لها مدى خطورةِ ذلك الإرهابي.. لقد قتل عددًا من الجنود وتسبب فى كوارث هو وجماعته.. خراب ودمار وقتل للأبرياء دون ذنب، كيف يسمح بتلك المقايضة الظالمة ويطلق سراح هذا القاتل ليمارس قتله وإرهابه؟ كم قتل من الأطفالِ فى مثل عمر ابنه أمير؟ كم قتل نساءً وشيوخًا؟ يقنع أتباعه أنّهم على حق. كيف لدين سماوى أن يدعو للقتل والانتقام؟ مستحيل. الدين الذي يدعو للسلامِ والرحمةِ جعلوه وسيلةً لسفك الدم دون جريرةٍ. انهارت الأم ودخلت المستشفى فى حالةٍ سيئةٍ بينما كان النقيب الجوهرى متمسك برفض تلك المقايضة. دمعت عيناه واعتصره الألمُ لكنه يرفض المقايضة، يشعرُ بالحسرةِ والخوف على ابنه الوحيد أمير، لكن عقله يرفضُ مقايضة أمير الدم والقتل بابنه، لو أفرجوا عن هذا القاتل سيعود لقتل الأبرياء، كم طفل سيُقتل على يديّ هذا الملعون؟ قال الرائد حسين الشبوكشي مستنكرًا:

- كيف يخطفون صبيًّا صغيرًا من أجل إنقاذ أميرهم؟

- أتباع هذا التنظيم ألغوا عقولهم، قانونهم هو السمع والطاعة.

- والعقل الذى ميَّزنا به الله تعالى عن سائر المخلوقات؟

- إنهم لا يفكرون، يظنّون فى قتلِ النّاس طاعةً لله، وطاعة الله لا تُنال إلا بالرحمة والحب.. لا بالقتل والدم.

- ماذا ستفعل الآن؟

- لا أعرف.

- سأكتب مذكرةً بمضمون هذه الرسالةِ.. وأرسلها للجهات الأعلى.

لعبةُ الطائر

يعبثُ منصور الإرهابي فى سلاحِه بينما يجلسُ أمير متكورًا خائفًا فى سريره. الآن تذكّر كلَّ شيءٍ، لم تكن لعبةُ الطائر العجوز- كما كان يظن- بل كانت سيارةً سوداء توقفت فجأةً أمامه عند باب البناية، ونزل منها شخصان ملثّمان حملاه بالقوةِ إلى داخل السيارةِ وانطلقت بسرعةٍ، وحين أراد أن يستنجدَ بأحد المارّة وضع أحدهم على فمه شريطًا لاصقًا، وغاب عن وعيه بعدها. لا يعرف أمير سببًا لما حدث معه، ولا من دبّر لخطفه ووضعه فى هذه الغرفةِ، يشعرُ بالقلقِ لكنَّه حاول أن يستجمعَ شجاعته ليبدو قويًّا، خاطب الرجلَ المنهمك فى تنظيفِ سلاحِه:

- من أنت؟ وماذا تريد منى؟

- لا تسأل.. عليك بالصمتِ حتى تنتهى المهمة.

- المهمة.. أية مهمة؟

- ليس مسموحًا لى بالحديثِ معك أيها الصغير، سأقومُ للصلاةِ، وعليك الصمت.

- الصلاة.. وكيف تصلي؟!

- إننى رجل مؤمن وأقوم بالفروض كلها.

- تخطفنى من بيتى ثم تصلي!

- إنَّه الجهاد.

- أى جهادٍ فى خطف الصبية وقتلهم؟

كان الإرهابي منصور قد شعر بالضيقِ ولم يعد قادرًا على مجارةِ أمير فى حواره وجداله.. صرخ فى وجهه:

- اسمع.. عليك بالصمت.. لا تتحدث معى.. اصمت.
شعر أمير بالخوفِ على حياته حين رأى منصور يلوّحُ بالسلاحِ فى وجهه مهددًا، لاذ بالصمت. ولم يستطع منصور أن يُكمل صلاته التى شرع فيها، كان قلقًا على غير عادته، لم يشعر بالخشوعِ فى الصلاةِ كما كان، هذه المرة وجد نفسه منشغلاً بحديثِ الصبي الصغير، وجد نفسه يفكرُ فيما قاله هذا الولد. انتهى من صلاته سريعًا وجلس يتأمل الصبي الذى غفت عيناه من التعب.. كلمات أمير دفعته أن يفكر:
"هل يعقلُ أن نقتلَ ونخطف ونحرق.. ثم نصلي؟".
حاول أن يخرج من قلقه، حاصرته أسئلة كثيرة، وكان صوت إمامه فى الجماعة يرن فى أذنه:
"لا تفكر يا منصور.. عليك بالسمع والطاعة".
كان خائفا وهو يردد:
- هل خالفت أوامر إمامى حين انشغلت بالتفكير فى كلام الصبي؟
شعر بالذنب وقرر أن يستغفر ويتوب عن فعل التفكير الذى نُهى عنه من قبل إمامه، وحذّره من مغبّة إعمال العقل.
أفاق من شروده الذى طال على صوت أمير وقد استيقظ:
- من فضلك.
- ماذا تريد؟
- أريد أن أرى أصحابي وأمى
- ليس مسموحًا لك بمغادرةِ هذه الغرفةِ.. لا أحد سيغادر هذه الغرفة.
- لكننى لم أطلب مغادرة الغرفة.
يفتح منصور عينيه مندهشًا وهو لا يفهم كلام الصبي، يردد باستغراب:
- ألم تطلب منّى حالاً أن ترى أصحابك وأمك؟!

- بلى.
- وكيف ستراهم إن لم تغادر هذه الغرفة؟!
- بل سأراهم هنا داخل هذه الغرفة.
يضحك منصور بصوتٍ عالٍ وقد ظن أن أمير قد أصابه الهذيان، كيف يريد أن يرى أصحابه وأبويه وهو هنا محبوس داخل حجرةٍ صغيرةٍ ومغلقة بإحكام من الخارج بقفلٍ كبيرٍ لا يمكن كسره، مسكين أمير.. لا يعرف أنَّه لن يخرج أحد من هنا حيًّا حتى لو وافق والد أمير على مطلب الجماعةِ الإرهابيةِ.. وأفرج عن أمير التنظيم الذى قبض عليه أثناء عملية الهجومِ الناجحةِ على وكر الإرهابين فى الجبالِ، الخطة كانت فى جميع الأحوال هى نسف الغرفة بمن فيها، سيتم تفجير الحجرة بالكامل بالحزام الناسف الذى يلفّه الإرهابي منصور حول خصره.منصور الإرهابي الساذج الذى فرح بهذه المهمة، وافق أن يضحّى بنفسه ظنًّا منه أنه سينال الشهادة، أيُّ شهادةِ سينالها إن هو فجّر الغرفة وقتل صغيرًا مثل أمير انتقامًا من أبيه النقيب حسام الجوهرى لأنه قبض على أمير التنظيم الإرهابي.
أمير لا يكف عن الحديث مع منصور الذى يلف الحزام الناسف حول خصره ويحرك شفتيه وهو يتمتمُ بالآيات.. قال أمير:
- أريد أن أرى أصحابي.
يتمالك منصور أعصابه وهو يرد على أمير بغلظةٍ زاعقًا فى وجهه:
- هل تظننى سأحضرهم هنا لتراهم؟
- لا.. بل أنا الذى سأذهب إليهم.
- أيها الصبي.. يبدو أنك أبله لا تفهم.. كيف ستذهب إليهم وأنت محبوس هنا معى فى هذه الغرفة؟ نحن لا نستطيع الخروج من هنا..

هناك قفل كبير على باب هذه الحجرة!!
- وأنا لم أطلب منك الخروج من الحجرة.
ـ هل تريدُ أن تتلف أعصابي أيها الصبي؟ وكيف ستراهم إن لم تخرج من هنا؟!
- أمى علّمتنى لعبة "الطائر العجوز".. عندما ألعبها أرى من أحب.
حينها يبتسمُ منصور ساخرًا من أمير:
- لعبة.. تريدُ أن تلعب أيها الصغير؟! اللعب لهو وديننا ينهانا عن اللهو.
- لا.. إنها ليست لعبة كأى لعبةٍ.
- لا أفهم؟
- لا أستطيع أن أشرح لك، لكنك سترانى وأنا ألعبها.
يفكر منصور للحظات.. ثم قرر أن يسمح للولد الصغير أن يلعب لعبته فربما تكون هذه هى المرة الأخيرة التى يلعب فيها تلك اللعبة:
- سأسمح لك أن تلعبها هنا داخل الغرفة دون إزعاجى.. وحذارى أن تطلب منّى شيئًا آخر.
- لا.. سأمارس لعبتى بعيدًا عنك ولن أزعجك.
يقوم أمير من سريره.. يغمضُ عينيه أولاً.. ثم يفردُ ذراعيه كجناحين ويحركهما.. ثم يندفعُ فى السير كأنّه يرى شيئًا، الإرهابي منصور يتابعه بدهشةٍ.. وأمير كأنّه يكلم كائنًا غير موجود:
- أيها الطائر العجوز.. يا ساكن أرض الفيروز.. احملنى إلى أرض الحب وأعياد النيروز. ارتفع إلى عنان السماء.. حرّك جناحيك بقوة.
منصور يتلفّت حوله يبحثُ عن الكائن الذى يكلمه أمير.. لكنّه لا يجد شيئًا. يسير أمير بسرعةٍ أكبر وسط دهشة وتعجب الرجل.
- الآن ستحلّق فوق مدرستى.

يتابع الإرهابي منصور حركات أمير مندهشًا غير مصدّق، يصرخُ أمير:
- ها هى.. لقد اقتربت، أنا الآن فى الأعلى سوف أهبط الآن بهدوء.
يتابع منصور أمير وهو يسيرُ ببطءٍ وكأنه حين يثنى قدميه يستعد للهبوط..
- لن أهبط أكثر.. كفى حتى أتمكن من المشاهدة.. إنّهم هناك فى فناء المدرسة يستعدون ليومٍ جديد، ها هم أصحابي؛ جودى.. صباح الخير يا جودى وأنت يا شريف وأنت يا أحمد.. صباح الخير عليكم جميعًا.
يندهشُ منصور ويقتربُ أكثر من أمير.. لكن أمير لا يعبأ به ويظلُ على حالة التخيّل التى يعيشها..
- والآن أيها الطائر حرّك جناحيك وطر سريعًا إلى بيتى لأرى أمي وأبي.
يحرّك أمير ذراعيه بقوةٍ.. ثم ينتقلُ بسرعةٍ إلى ناحيةٍ أخرى فى الغرفة..
- انظر.. هذا هو البيت، أين أمى؟ لم لا أجدها؟ وهذا والدى النقيب حسام الجوهرى يطالع جرائد الصباح كعادته حين يحضر من الجبهة، هل يمكننى أن أسأله الآن عن أمى؟ لقد اشتقت إليها.. سأسأله...
منصور يشعرُ بالقلق، يجرى خلف أمير يحاولُ إخراجه بالقوة والصراخ العالى، يخرج أمير من حالته غضبانًا.
- لماذا لم تتركنى كى أطمئن على أمى؟ لم أرها، أخشى أن يكون قد أصابها مكروهٌ بعد غيابي عنها.
- اسكت أيها الصبي المجنون، أنت تهذى.
- لا لست مجنونًا.. أنا عاقل وأعى ماذا أفعل.
- هل تصدقُ ما تقوم به؟
- نعم.. علّمتنى أمى هذه اللعبة.. لعبة الطائر العجوز.
ـ وهل رأيت أصحابك ومدرستك حقًّا؟

- نعم رأيتهم.
- لكن ما قمت به مجرد لعبة.
- لا ليست لعبةً، علمتنى أمي كيف أحلق كطائرٍ كما حدث أمامك الآن. (وهو يشعرُ بالأسي) لكننى لم أر أمى.. أخشي أن يكون قد أصابها مكروه.
- أنا لا أصدق.. أنت تهذى.
يدقُ جرس الهاتف المحمول، وقبل أن يجيب منصور على المتصل يشير بيده إلى أمير أن يلزم الصمت، يرد منصور بصوتٍ خفيض:
- نعم يا أخى.. تمام.. الصبي أمامى.. تنتظرون رد أبيه على الرسالة.. لا.. لا تخف.. الشهادة هى مطلبي وغايتى ولكنى أستعجلها.
أمير يقتربُ من منصور ويهمسُ له:
- من فضلك أسأله عن أمى.. هل أصابها مكروه؟
يبتعدُ منصور عنه لكنّه يصر ويقترب منه ويستعطفه متوسلاً.
المتصل يبدو أنه قد شعر أن هناك أمرًا ما يحدث.. يتلعثمُ منصور وهو يرد:
- لا لا.. إنّه الصبي يلحُ علىّ، ويسألنى عن أمه، يظن أن أمه مريضة.
لا.. لم يصل إلينا أحد ولكنها.. (كان مترددًا وهو يكمل) لعبةٌ يقول الصبي إن اسمها لعبة العجوز.....
يقاطعه أمير: اسمها "لعبة الطائر العجوز"، من فضلك اسأله عن أمى.
يتخلصُ منصور من كف أمير المتعلقة به:
- هو يريد أن يسأل عن أمه.. يظنها مريضة.
ثم يصرخُ وهو يُكملُ: لا.. اللعبة هى التى أخبرته بهذا.
ماذا.. معقول؟! كيف؟!

يبدو أن المتصلَ قد أغلق الهاتف: آلو آلو.
أمير حزينًا: ماذا جرى لأمى؟
- لا تقلق.. لا شيء.
- بل أصابها مكروه.
- لا.. إنها فقط فى المستشفى تُجرى بعض الفحوصات الطبيّة.
يبكى أمير بحرقةٍ وأسي بينما يظلُ الإرهابي منصور على حالةِ الاندهاش، يحدّثُ نفسه بعد أن وضع الهاتف فى جيبه:
"هل تلك اللعبة التى قام بها الصبي حقيقة؟ لمَ لا؟ وإلا كيف عرف ما أصاب أمه؟ هل زار بيته حقًّا؟ كيف وهو لم يبرح الغرفة أمامى؟ لا أصدّق ما يجرى هنا.
لماذا تحدّث نفسك يا منصور؟ لا شيء.. لا شيء".
فى هذه اللحظةِ كان الإرهابي منصور لا يصدق ما يحدث أمامه وقد رآه بنفسه ولم يكن حلمًا: هل استطاع هذا الصبي أن يخرج من هذه الحجرةِ رغم القفل الكبير الموضوع على بابها؟! كيف رأى أصحابه؟! وكيف عرف أن أمه مريضة؟!
الدهشةُ بلغت مداها عند منصور: هل تلك التمارين التى تعلّمها من أمه تستطيع أن تفعل هذا؟ أى قوّةٍ يمتلكها هذا الصبي؟
نظر إلى أمير والدهشة تتملكه بينما غفت عينا أمير ليروح فى نوم عميق، ومنصور يتابع ملامح الصبي الهادئةِ البريئةِ فى صمتٍ بينما صوت الهاتفُ يتعالى فى جيبه.

المحاولة الأخيرة

كان مقررًا أن تذهبَ اللجنةُ التى ستُنهى تجربة "الإدارة الذاتية"صباح الغد، الفكرةُ التى تحمّس لها الأولادُ وصارت حديث الصحافةِ والإعلام، وباختفاء أمير انتهت وستعودُ "نور المعرفة" لنظام إدارتها السابق، الفرصة ُكانت سانحةً للمتربصين بهذا النظام حين انشغل الجميع فى البحثِ عن أمير، والبعضُ شعر بالإحباط، لم يعد انتظامُ الطلبةِ فى الحصص كما كان، ولم تعد ممارسةُ الأنشطةِ كما كانت.. النظام داخل المدرسة ينهار، ولن تسمح الإدارةُ التعليميةُ بقيادة السيد عبد العال الغمرى للمدرسة أن تنهار، وافق على تشكيل اللجنةِ التى ستحضر إلى المدرسةِ صباح الغد للتوصية بإنهاء نظامِ "الإدارة الذاتية" فى "نور المعرفة" لفشله، ولإنهاء تلك الفوضى التى عمّت المدرسة.

جودى طوال الليل تفكرُ بطريقةٍ إيجابيةٍ، لم تستسلم.. بدأت هى وأصحابها فى التفكير لإيجادِ "الخطة البديلة" بعد اختفاء أمير، هذا النظام كان ينقصه "لخطة البديلة".. تلك الفكرة التى أرشدهم إليها النقيب حسام الجوهرى والد أمير، أى نظام سيعتمدُ على فردٍ واحدٍ فقط سيفشل، لا يمكن أن يتوقفَ العملُ والدراسة والنشاط داخل "نور المعرفة" على شخصٍ واحد.. هو أمير، فإذا غاب لأى سبب ينهارُ النظام وتفشلُ المدرسة كما حدث، التفكير الآن فى إيجاد "الخطة البديلة"، هذه المرة لن تكون الخطةُ معتمدةً على فردٍ واحدٍ.. بل ستقومُ على فكرةِ الجماعةِ، بحيث تكون الإدارةُ بالتعاونِ والمشاركةِ من المجموع، وحينها لن يتوقفَ النظام كلُّه على شخصٍ واحد، هذه الفكرة الجديدة

التى وافق عليها الأصدقاءُ كانت تعنى أن يتحمّلَ كلٌّ منهم قدرًا من المسؤوليةِ، لكن تظل المشكلة الآن فى تلك اللجنةِ التى ستحضرُ صباح الغد وستوصي حتمًا بإنهاء النظام برمته، كيف يمكن إنقاذ نظام "الإدارة الذاتية"؟

كانت الأفكارُ تتواردُ على ذهنِ جودى لكن لا جدوى، ما العمل الآن لإنقاذ الفكرة؟ الفكرةُ التى حلم بها أمير وستنتهى غدًا..

- لا شيء سيمنع اللجنة من الحضور غدًا.

- حتى لو توسلت إليك يا أبي.

كانت عينا جودى تبكيان وهى تتحدث إلى والدها.

- لا أستطيع أن أفعل شيئًا لكِ.

- لكن حلمنا سينهارُ يا أبي.

- ليس بيدى أن أفعلَ شيئًا يا جودى.. لكن...

- لكن ماذا يا أبي.. أرجوك؟

- لماذا لا تحاولين إنقاذ "نور المعرفة" قبل مجيء اللجنة.

- أحاول ماذا؟

- تحاولين أن يكون كلُّ شيءٍ جاهزًا للتفتيش.

- لا يمكن يا أبي، الوقت المتبقي مجرد ساعات.

- لا بأس من المحاولةِ، حاولى يا جودى.. حاولى أنت وزملائك.

ظلت جودى تفكرُ طوال الليل فى طريقةٍ سريعةٍ لكى يحضر الجميعُ غدًا وينتظمون فى طابور الصباح.. قالت لنفسها:

"لمَ لا نحاول حتى ولو كانت تلك هى المحاولة الأخيرة؟".

غفت عينا جودى قليلاً.. أو ربما لم تنم مطلقًا، لكنها فجأةً صرخت بأعلى صوت:

- رأيت أمير.. رأيت أمير.
قام الأستاذ مراد من سريره على صراخِ ابنته جودى فى غرفتها، جرى إليها سريعًا وهو منزعج من صياح ابنته، يخشي أن يصيبها مكروهٌ، مازالت جودي تصرخ:
- رأيت أمير.. رأيت أمير.
- اهدئي يا جودى اهدئي.. إنَّه حلم
- لا.. ليس حلمًا يا أبي.
- انظرى يا ابنتى.. أنت فى غرفةِ نومك، لا يوجد أحدٌ غيرنا فى هذه الغرفة.
- لا يا أبي.. أمير حضر إلى هنا وأعطانى "الباسوورد".
- "الباسوورد"؟
- نعم يا أبي.. كلمة السر لدخول صفحته على الفيس بوك.
- لا أفهم ماذا تقصدين؟
- إنها رسالة.. إنها الحل يا أبي.
- لا أفهم شيئًا يا جودى.. عن أيةِ رسالةٍ تتحدثين؟
- سترى كلَّ شيءٍ بنفسك يا أبي.
أشفق السيد مراد على ابنته جودى، ما يجرى لها الآن مجرد أوهام لأنَّها خائفة على أمير وخائفة على مدرستها "نور المعرفة"، كل هذه المخاوف جعلتها تتوهّم أشياءً لم تحدث؛ من بينها حكاية أمير وكلمة السر.. "الباسورد". الوقت يمرُ والأزمةُ تشتدُ بالأولاد واللجنةُ ستحضر بعد ساعات إلى "نور المعرفة"، لن يستطيع أن يفعلَ السيد مراد شيئًا سوى إنهاء هذا النظام، الأمر سيشكل صدمةً شديدة للأولاد لكن لا حيلة بيده.. لابد من إنقاذ "نور المعرفة" من نظام محكوم عليه بالفشل.

كانت جودى تفكر بصوتٍ عالٍ:
"يجب أن أفكر الآن فى الرسالة، أحتاجُ إلى معجزةٍ، معى الآن كلمة السر.. ولكن ما هو مضمون الرسالة، غدًا سيكون يومًا مشهودًا فى نور المعرفة".. ثم صرخت:
- وجدتها.
انتظمت أصابعها على حروفِ "الكيبورد" وبدأت تكتبُ الرسالةَ على صفحة أمير:
"أصدقائي.. أنتظركم غدًا، غدًا سيكونُ يومًا مشهودًا.. "نور المعرفة" تحتاجكم.. لا تخذلوا مدرستكم.. هى وطنكم الصغير- أمير".
ضغطت على مفتاح إدخال "إنتر" ونشرت "البوست" على صفحةِ أمير، بدت كرسالةٍ من أمير، لم تكن تعرف جودى مدى تأثير هذه الرسالة، وهل سيكونُ إيجابيًّا؟

الحلم

ترقدُ الأمُ منهارةً فى سريرها فى المستشفى منذ أن علمت بخطف ابنها أمير على يد الإرهابيين، تتمنّى سلامة ابنها وهى تتوسلُ إلى زوجها أن يلبّي فورًا مطلب الإرهابيين حتى تضمن عودة أمير، النقيب حسام الجوهرى حاول طمأنتها وأخبرها أن السلطات العليا تدرسُ كلَّ الخيارات الآن، القلق يستبد بها، إجابةُ زوجها ليست مطمئنةً، تعرف أن الأمرَ ليس بيده وحده، الأمرُ فى النّهاية فى يد القيادة وهى الآن تدرسُ الموقف وتقدّر الأمور.. وستتخذ القرار المناسب.

تلبيةُ مطلب الإرهابيين بإطلاقِ سراح أمير تنظيمهم الإرهابي فيه خطرٌ على المجتمع، هذا الإرهابي فعل الكثير ويجب محاسبته بالقانون، سينالُ محاكمةً عادلةً وجزاءً لما اقترفه من جرائم، وأثناء التحقيق معه سيكشف عن كثير من خطط التنظيم فلا يمكن الإفراج عنه بتلك السهولةِ حتى ولو كان الثمن هو أمير ابنه، فكر النقيب الجوهرى لثوانٍ: هل ستكون نهاية أمير على يد هؤلاء القتلة الذين لا تعرف قلوبهم الرحمة؟ ما علاقة صبي صغير لم يفعل شيئًا ولم يقترف إثما بما يجرى حتى يختطفوه؟ أمه ترقدُ الآن بين الحياةِ والموتِ خوفًا على صغيرها، حتمًا ستضعُ القيادةُ كل شىء فى حسابها وهى تتخذُ قرارها.

هكذا أخبر النقيبُ حسام الجوهرى زوجته:

- يجبُ أن نطمئن، لن يتركوا صغيرنا أمير بمفرده.

يعرف النقيبُ أن هذا الثمنَ الباهظ الذى يدفعه الآن هو وزوجته عندما خطف الإرهابيون ابنهما الوحيد أمير والتهديدُ بقتله.. هو ثمنٌ

كبيرٌ لكنّه يصغرُ إلى جوار حمايةِ الوطن كلّه من هذا الإرهاب الأسود، ويكفى ما جرى ليلة أمس كان أمرًا مدهشًا جرى معه حين ارتفع رنين هاتفه، كانت زوجته على الجانبِ الآخر تخبره بأمرٍ مدهش، قالت له بصوتٍ فَرِح:

- أمير حضر لزيارتى فى المستشفى، نظر لى نظرةً أمل ثم انصرف.

كانت حروفُ البهجةِ تتقافزُ على شفتيها. اندهش النقيبُ حسام الجوهرى مما تقوله زوجته، هل أفرجوا عن أمير؟ الأمُ لم تعطه الفرصةَ لكى يفكرَ طويلاً:

- أمير طلب منّى أن أعود إلى المنزل لكي أعد له فنجان النسكافيه ومعه الكعك الذى يحبه.

تردد النقيبُ الجوهرى قبل أن يرد على زوجته فى الهاتف، ماذا سيقولُ لها؟ لن يستطيعَ أن يقولَ لها إن ما رأته مجرد حلم أو وهم.. وأن ابنها أمير مخطوف ولا يعرف أحد مكانه..

"ربما الطائر العجوز أراد أن يخفف عنها قليلاً".

منذ قليل أخبره العميد أنور أمين رئيس فريق التحقيق أنّهم يدركون مدى الخطورة التى يتعرضُ لها أمير، وهم يعكفون الآن على تتبّعِ السيارةِ التى تم استخدامها فى خطفِ أمير من أمام بابِ البنايةِ التى يسكنها.. ومن الممكن التوصّل إلى مكانه، القيادةُ شكّلت فريقًا من المحققين على أعلى مستوى من رجال الأمن الوطنى ومن المخابرات ومن الأمن العام، مهمةُ الفريقِ التوصل إلى مكان أمير ومحاولة إنقاذه.

وحين رد النقيبُ الجوهرى على رئيس فريق البحث العميد أنور أمين وقلبه يدقُ قلقًا على ابنه:

- الوقت ليس فى صالحنا والمهلة توشك على نهايتها، وابنى أمير فى خطر.
كان رد رئيس فريق التحقيق العميد أنور أمين حاسمًا:
- نحن نثق فى خطواتنا، سنصلُ إليه وننقذه، لا يمكننا أن نخضع لابتزاز الإرهابين ونطلق سراح أمير التنظيم.
النقيب الجوهرى يتفهّمُ ما تريده القيادة، الإرهابي ليس له وعد وليس له كلمة، ومن يدرى.. حتى لو أطلقوا سراح أمير التنظيم ربما لا ينفّذون وعدهم ويطلقون سراح ابنه أمير، تاريخُ الإرهابيين يؤكد أنّهم لن يفوا بوعودهم، الحلُّ كما تقولُ القيادةُ.. هو الوصول سريعًا إلى مكان أمير ومحاولة إنقاذه.
العميد أنور أمين طلب من النقيب حسام الجوهرى أن يراوغهم إذا اتصلوا به ويخبرهم أن القيادةَ تدرسُ مطلبهم وستفرجُ عن أمير التنظيم. كان العميد أنور يريدُ أن يكسب مزيدًا من الوقت حتى يستطيع الوصول إلى مكان أمير.

تمارين الحب

قضم أمير قطعةً من ساندوتش الجبن الذى وضعه منصور فى طبقٍ أمامه، طلب منه أن يأكلَ.. لأول مرةٍ يقدمُ له الطعام برفقٍ دون صراخٍ أو غضبٍ.. كما كان يفعل معه فى الأيام السابقةِ، اندهش أمير؛ كان الإرهابيُّ منصور مترددًا، يقطعُ الغرفةَ ذهابًا وإيابًا كأنَّه يفكرُ فى شيءٍ لا يُريدُ أن يفصحَ عنه، تابعته عينا أمير بشغفٍ، مال بجذعه على المنضدةِ واستند بذراعيه وهو يوجّه كلماته إلى أمير برفقٍ على غير عادته.. حيث كان متجهّمًا صارمًا طوال الوقت، كأنَّه كان يظن- جهلا- أن التجهم من شعائر الإيمان، ونسي تعاليم الرسول الكريم التى تشير إلى أن تبسُّم أحدنا فى وجه الآخر صدقة.. أخيرًا توقف منصور ليواجه أمير قائلاً:

- لعبةُ الطائر العجوز.

- ماذا تقصد؟

كان منصور مترددًا.. تخرج كلماته بصعوبةٍ:

- هل يمكن أن أتعلمها؟

صرخ أمير غاضبًا:

- مستحيل.. مستحيل.

شعر منصور بالحزن والأسي:

- لمَ يا أمير؟

- أمى أخبرتنى أن هذه اللعبةَ تحتاجُ إلى طاقةِ الحب.

- الحب! ماذا تعنى بهذه الكلمة؟

- أن تحب النَّاس.. كلَّ النَّاس، لا يمكنك أن تعلبَ لعبةَ الطائر لأنَّك تقتلُ النَّاسَ الأبرياءَ.
- إنها أوامر الجماعة من أجل رفع راية الدين، أنت صغير على فهم هذه الأحكام.
- لست صغيرًا.. وأعرف أن أى دين لا يمكن أن يدعو لقتل النَّاس، الأديانُ تدعو إلى التسامحِ والحب.. لا إلى القتل والخطف.
- أنا أريد للناس النجاة، أريدهم أن ينضموا لنا ويستمعوا لفكرتنا.
- ليس بالقتل والدمار نروِّج لأفكارنا.
- وكيف أجعلهم يستمعون لى؟
- المثقف الواعى يدافع عن فكرته بالإقناع والحجة العقلية والمنطق السليم، أما الإرهابيُّ مثلك فهو يدافعُ عن فكرته بالقتلِ والحرقِ والدم، شتان بين الطريقتين، طريق الإرهابي وطريق المثقف الواعى.
يبتعدُ منصور عن أمير، يضعُ يديه على أذنيه ويصرخ:
- حديثك يزيدنى حيرةً وارتباكًا، لا أُريدُ أن أسمعك أو أحاورك.
راح منصور فى نوبة حزنٍ وبكاء، اقترب منه أمير، كان يحاولُ تهدئته، ومنصور يتوسل إليه:
- من فضلك يا أمير.. علمنى لعبتك.. لعبة الطائر العجوز.
- سأحكي لك قصةَ الطائرِ العجوز.. ربما تعرف أنّه من الصعبِ أن يلعبها مثلك.
أخذ أمير يحكى حكايةَ "لعبة الطائر العجوز"، وكان الإرهابي منصور ينصت لأمير وهو سعيد، ودون أن يدرى ارتسمت ابتسامةٌ على وجهه المتجهّم فبدا شابًّا رقيقًا طيبًا، كان شغوفًا بمتابعةِ تفاصيل الحكاية، وعندما وصل أمير إلى نهايةِ الحكايةِ صاح منصور:

- رائع أن تنتهى القصة نهايةً سعيدة.. فقد وصل الطائر إلى أبنائه.
كان وجه منصور تغمره السعادةُ وهو يقول:
- أنا مثل الطائر بطل الحكاية.. أُريدُ أن أعود لأرى فاطمة.
- فاطمة اسم جميل، من فاطمة هذه؟
- إنها ابنتى.
- كم عمرها؟
- خمس سنوات.
كأن منصور تذكر وجه فاطمة الطيب وراح يبكى.
- لماذا تبكى يا منصور؟
- أُريدُ أن أراها، أرى ابنتى فاطمة يا أمير.. ساعدنى.
- وكيف أساعد؟
- تعلّمنى لعبة الطائر كى أفعل مثلك وأذهب لأرى ابنتى.
- ولماذا تحتاجُ إلى لعبةِ الطائر؟ لماذا لا تخرجُ من هنا وتذهبُ لترى ابنتك؟
- لا أستطيع.
- مَنْ يمنعك؟
يبدو مذعورًا:
- الجماعةُ ستقتلنى إذا خالفت أوامرها.
- ولماذا تنضمُ إلى جماعةٍ تقتلُ مَنْ يخالفُ أوامرها؟! أنا وأصحابي نختلف كثيرًا ولا يقتل بعضنا بعضًا.
بكى منصور وهو يتوسلُ إلى أمير:
- أرجوك يا أمير ساعدنى، أُريدُ أن أرى ابنتى فاطمة.. اشتقت إليها، أُريدُ أن أرى ملامح وجهها الرقيقة الطيبة. أرجوك.. علمنى كيف ألعب

لعبتك كى أراها.
- مستحيل.
- أعدك يا أمير أنني سأطلق سراحك.
لم يصدق أمير.. كان فرحًا:
- حقًّا.. وأعود إلى بيتى ومدرستى وأصحابي.
- نعم أعدك.. بشرط أن تساعدنى لأرى ابنتى.
يقتربُ أمير منه وهو يحاولُ إخراجه من حزنه:
- لعبة الطائر العجوز لها شروط لابد أن تتوافر فيمن يلعبها.
- شروط.. أية شروط؟!
- كما قلت لك.. الحب.
- أنا أحب فاطمة.. سأنجح يا أمير، دعنى أجرب لعبتك.
- سأفكر قليلاً.
كان منصور يتابعُ أمير وهو مستغرقٌ فى التفكيرِ، كان ينتظرُ أن يرقَّ قلبُ أمير له ويعلمه "لعبةَ الطائر العجوز" ليرى ابنته فاطمةَ التى تركها منذ عامين، هجرها وهجر بيته وزوجته وعاش فى صحراءٍ قاحلةٍ مع تلك الجماعةِ، كان يشعر فى داخله أن حواره مع أمير قد أظهر ضعف حجته، كيف قسى قلبه إلى حدِ أن يترك ابنته فاطمة للمجهول؟ يعرف أنها تشتاقُ إليه الآن، تذكّر ابتسامتها حين كان يعودُ من عمله، كانت تجرى لتفتح له البابَ.. تبتسمُ سعيدةً وهى تنتظرُ قطع الشيكولاتة التى تحبّها، كان يُخفيها عنها وحين يشتدُ ولعها وهو يرى كفّيها تبحثان فى جيوبه فلا تجد شيئًا، تقفُ حزينةً، فجأةً يُخرجُ قطعة الشيكولاتة أمامها.. تتقافز فاطمة فرحًا، كيف قسى قلبه وصار يقتلُ ويحرقُ.
أفاق على صوتِ أمير وهو يقول:

- موافق.
- حقًّا يا أمير.. ستعلمنى لعبتك وسأراها بوجهها المشرق؟
- نعم.. طالما تحبّها ستراها، هذه لعبة قائمة على الحب.
- ماذا علىَّ أن أفعل لأرى فاطمة الجميلة؟
- التمارين.
- تمارين!!
- ستقوم بأداء تمارين "لعبة الطائر العجوز".
- وما هى تلك التمارين؟
سأعلمك إيها الآن.
- وأنا سأسمع لك وأطيع.
- لا أريد السمع والطاعة، أريدك أن تفكرَ وتشعر وتحب، أن تتذكر ابنتك فاطمة التى تحبها.
- سأفعل.
- والآن سأريك كيف تلعب "لعبة الطائر العجوز".
بدأ أمير يعلّم منصور كيف يؤدى تمارين لعبة الطائر العجوز، بدا منصور طفلاً سعيدًا وهو يلعب مع أمير، كان يلبّي أوامره التى يوجهها له بصرامةٍ كي يؤدى تمارين اللعبة. كلما حاول منصور يفشل.. مرةً بعد مرةٍ يشعرُ باليأسِ، لكن أمير لم ييأس من تدريبه، ويقوم على الفور بإعادة تدريبه مرةً أخرى، منصور استسلم لأوامر أمير وتوجيهاته، كان يريد أن يرى فاطمة ويطمئن عليها، منذ أن تركها وأمها وذهب إلى التنظيم وهو يراوده حلمُ العودةِ إلى حضن أسرته، لكن منصور كان يظن أن ما يفعله جهاد وطاعة لله.. لذا كان يقاوم إحساسه بالحنينِ إلى فاطمةِ.. والحب، كما قال له أمير التنظيم.

شتّان بين تمارين لعبة الطائر العجوز.. وبين تمارين القسوة التى تدرّب عليها على يدِ أمير التنظيم، كان يردد على سمعهم دائمًا أنَّه لكى يقوى على الجهاد لابد أن يتخلّى عمّن يحبُ بالتدريب المستمر على تمارين القسوة.. هناك فى الجبال الوعرةِ مع التنظيمِ الإرهابي.

الأوقاتُ بدأت تمرُ على أمير هنا فى الغرفةِ المغلقةِ هادئةً وهو يرى كيف قام منصور بتمارين لعبةِ الطائر مرةً بعد مرة، يحاول منصور ثم يسقط. علت ضحكاتُ أمير عندما كان يغمض عينيه ويسير فاتحًا ذراعيه كان يختل توازنه فيسقط على الأرض، وكلما وقع منصور وصرخ متألمًا يضحكان، لأول مرةٍ يرى أمير كيف كانت ضحكة منصور صافيةً كأنَّه طفل.

- لم تعد إرهابيًا.. صرت طفلاً مثلى.

- بفضل لعبتك أعدتنى إلى زمن اللعب مع الأصحاب.. حيث فناء المدرسة الواسع.

- ليتك ظللت بهذه البراءة.

استوقف منصور أمير قائلا:

- لماذا تساعدنى رغم قسوتى معك؟

- لأننى لا أعرف غير الحب، هكذا علمتنى أمى.

- الحب!

- نعم يا منصور.. طاقة الحب تجعلك لا تكره أحدًا، حتى الأشرار الذين يؤذونك تتمنى أن يصبحوا طيبين.

- ليتنى كنت مثلك أمتلك تلك الطاقة.

نام أمير كما لم ينم من قبل، لأول مرةٍ يشعرُ بالراحةِ وقد تخلّى عنه حذره وقلقه، واستند إلى ذراعه الذى وضعه تحت رأسه كوسادةٍ وراح

فى نومٍ عميق، ظل- ربما- لساعات طويلةٍ نائمًا حتى صحى من نومه على صراخِ منصور وهو يهزه هزًّا عنيفًا فى سريره.. حتى أيقظه من سباته الطويل. كان يصرخ:

- رأيتها يا أمير.. رأيتها.

- من؟

- فاطمة ابنتى.

- حقًّا.

تعانق الاثنان فرحًا. كان منصور فى غايةِ السعادةِ وهو يُقبّلُ أمير شاكرًا وهو يحكى لأمير ما رآه:

- زرتها هناك فى بيتنا، كانت تنامُ فى حضن لعبتها، احتضنتها وقبّلتها، كان سعيدةً وهى لا تُصدق. لعبتك رائعة يا أمير، ما أجمل لعبة الطائر العجوز.

كان الإرهابي منصور- على غير عادته- سعيدًا يتقافز كطفلٍ، لم يتمالك نفسه.. احتضن أمير مرات ومرات وهو يسترسل فى حديثه:

- هل تعرف ما أحزننى؟ أن فاطمة كانت تسأل أمها عنّى.. وأمها تكذب عليها وتخبرها أننى مسافر للعمل. وحين صحت ورأتنى قالت لى.. "لماذا تركتنى يا أبي؟ أنا أحبك". كانت تنظر إلى يدى الفارغة وهى تبحث عن قطع الشيكولاتة التى تُحبّها، كانت تظننى أخفيها عنها.

لم يتمالك منصور نفسه، أجهش فى البكاء، ظل يبكى طويلاً وأمير يحاول تهدئته.. وحين انتهى من نوبةِ البكاء نظر إلى أمير:

- لماذا علّمتنى هذه اللعبة يا أمير؟ لماذا جعلتنى أرى ابنتى فاطمة؟ ساعدتنى دون مقابلٍ.. رغم أننا خطفناك وحبسناك.. وربما أقتلك إذا جاءتنى أوامر الجماعة.

ـ لأننى تعلمت تمارين الحب.. وأنت تعلمت تمارين القسوة، شتّان بين الحب والقسوة.

- لديك الحق يا أمير.. لكننى لن أقتلك.. حتى لو أمرونى بقتلك، لن أفعل.. ربما تكون هذه المرة الأولى التى سأخالف فيها أوامرهم، لا يمكن أن أقتل فتى رائعًا مثلك، أنا أحببتك يا أمير.. وربما أدفع حياتى ثمنًا لهذا الحب.

- هل ستطلق سراحى الآن.. كما وعدتنى؟

حينها نظر منصور إلى أمير وقد ارتسمت كلُّ علاماتِ التعجبِ والدهشةِ على وجهه الخائفِ المرتعد.

طرف الخيط

كان الرائد حسين الشبوكشي يتصل بالعميد أنور أمين ليخبره فرِحًا أنّهم قد توصّلوا إلى كاميرات قد التقطت صورًا لتحرّك سيارةِ الإرهابيين التى اختطفت أمير. فرح العميد أنور بتلك المعلوماتِ.. وطلب من الرائد الشبوكشي صورة السيارة. بدأت خيوطٌ كثيرةٌ تتضحُ أمامه فى ملف الجماعة الإرهابية، وأمر على الفور بتتبّع خط سير السيارة التى نفّذت الاختطاف ووضعها على برنامج القمر الصناعى "الستلايت".. للوصولِ إلى مكانِ احتجاز أمير.

***

كان لرسالةِ أمير التى كتبتها ووضعتها جودى على صفحته على الفيس- لتوهم الجميع بأنها رسالة من أمير- تأثير كبير لم تتوقعه. فى الصباح ذهب السيد مراد عبد المنعم إلى الإدارة لمرافقة اللجنةِ، اللجنةُ التى ستوصي بإنهاءِ تجربة "الإدارة الذاتية" التى حلم بها أمير. وحلم بها أصحابه معه، الحلم كان عظيمًا لدرجةِ أن ما فعلوه فى "نور المعرفة" أدهش الجميع، كانت التجربةُ ناجحةً.. حتى اختفى أمير وانهار كلُّ شيءٍ فجأةً، لم يعبأ السيد عبد المنعم بتوسلاتِ ابنته جودى لكى يمنحهم فرصةً أخيرةً فى "نور المعرفة"، حاولت إقناعه بتأثيرِ رسالةِ أمير وعزم الأصدقاء على تنفيذ الخطةِ البديلةِ.. القيادة الجماعية، لن نترك "نور المعرفة" لفردٍ واحدٍ.. بل ستكون القيادةُ جماعيةً بحيث إذا اختفى فردٌ فلا يتأثر النظام فى "نور المعرفة". لكن الأب وضع أوراقه فى الحقيبةِ

ومضى ناحية البابِ، نظر إلى ابنته وهى تتوسلُ إليه ألا يضيع حلمها وحلم زملائها فى "نور المعرفة".. قال لها بلغةٍ صارمةٍ؟

- سأحضر اللجنةَ إلى "نور المعرفة" فى الساعةِ التاسعة.. يمكنكم تدبير أموركم خلال هذا الوقت.

توسلت جودى إلى أبيها وتعلقت بكفّه:

- هذا الوقت لا يكفى لإعداد كلِّ شيءٍ يا أبي.

- لا وقت لدينا لنضيّعه مع صغارٍ لا يدركون قيمةَ الوقت.. ولا قيمة العلم.

أدار مُحركَ السيارةِ ومضى غيرَ عابئٍ بتوسلاتِ ابنته جودى.. التى أسرعت لكى تُعد نفسها للذهابِ إلى "نور المعرفة"، الوقت المتبقي قليل جدًا، ورغم اليأس الذى دبّ فى نفسها.. إلا أنها تمسّكت بالأمل والنجاحِ. وهى فى طريقها للمدرسةِ هاتفت صديقيها شريف وأحمد، وطلبت منهما الإسراع لمقابلتها فى "نور المعرفة" لأن الوقت المتبقي على حضور اللجنةِ مجرد ساعات قليلة، انطلق الأصدقاء الثلاثة إلى "نور المعرفة".. وكانوا جميعًا على موعدٍ مع مفاجأةٍ لم يتوقعها أحدهم، كان فناء المدرسة ممتلئًا عن آخره بالطلاب، الجميع حضروا تلبيةً لنداء أمير على صفحته، جودى قالت بصوتٍ عالٍ:

- نجحت الفكرة.. والرسالة وصلت إلى أصحابها.

لكن أحمد كان خائفًا ومترددًا:

- بماذا سنجيبهم إن سألوا عن أمير يا جودى؟

- لقد اتفقنا على القيادةِ الجماعية

فرح الأستاذ مجدى.. الأخصائي الاجتماعى بعودةِ الطلابِ إلى المدرسةِ، نظر إلى الأصدقاءِ الثلاثةِ قائلاً:

- هيا.. لا وقت لنضيّعه، اللجنةُ توشك على الحضور، يجبُ أن نعد كلَّ شيءٍ ليكون جاهزًا.
- وهل نستطيعُ أن نُعيد حلمنا فى "نور المعرفة"؟
- نعم سنستطيع إذا تكاتف الجميعُ معنا، هيا إلى طابورِ الصباحِ وعلينا أن نُسرع.. فقد علمت أن اللجنةَ قد تحركت الآن بسيارةِ الأستاذ مراد وهى قادمة إلى هنا.
- سنفعلُ كلَّ ما بوسعنا لإنقاذ "نور المعرفة".

***

كانت كاميرات المراقبةِ قد رصدت تحركات السيارة التى اختطفت أمير.. وصار مكان أمير معروفًا. العميد أنور أمين اجتمع مع الرائد حسين الشبوكشي ليضعا خطةً لإنقاذِ أمير، ستحتاجُ الخطةُ إلى قواتٍ لمحاصرةِ الغرفةِ وإخراج أمير منها سالمًا.

***

كانت سيارة السيد مراد تتحرك وبها أعضاء اللجنةِ التى ستحضر إلى "نور المعرفة" لوضع تقرير لإنهاء نظام "الإدارة الذاتية" الذى كان يتيح للطلاب إدارة مدرستهم، وإذا أُلغى هذا النظام سينتهى معه حلم أمير وأصحابه إلى الأبد فى إدارة "نور المعرفة".
كان السيد مراد عبد المنعم يقودُ السيارةَ مسرعًا فى طريقه إلى "نور المعرفة" ومعه أعضاء اللجنةِ، تذكر كلمات ابنته جودى هذا الصباح وكيف توسّلت إليه وهى تطلب منه المساعدة، استرجع صورة "نور المعرفة" وهى مشرقةً بحماس الطلاب فى الفصولِ وفى تلقى الدروس وفى الأنشطةِ، كيف سيهدمُ الحلم الجميل بتقرير هذه اللجنة؟ كيف ستنتهى الأحلامُ وتسقط فجأةً مثل ورقةِ شجرة صفراء ذابلة؟ حينها

توقف عن السيرِ بعد أن ضغط على فرامل السيارة فجأةً، نظر إلى أعضاء اللجنة الذين سألوه عن سبب توقّف السيارة، فأخبرهم أن عطلاً قد أصاب المحرك وسيستغرق إصلاحه بعض الوقت، اتصل بمركز الصيانة وأخبرهم بمكانه على الطريق وجلس فى انتظار مهندس الصيانة، بينما استبد القلق بأعضاء اللجنة.

***

كانت سعادة الإرهابي منصور بلعبةِ الطائر العجوز- التى تعلّمها من أمير- لا توصف؛ فقد تمكّن من أن يرى ابنته فاطمة بوجهها الصبوحِ المشرق، نظر إلى أمير حزينًا ولم يتمالك نفسه.. ودموع كثيرة تنهمر من عينيه. اقترب أمير من منصور يحاول أن يخفف عنه:

- ما بك يا منصور؟ لماذا تبكى؟ كنت سعيدًا منذ قليل برؤية ابنتك فاطمة، ما الذى جرى؟

- طاقة الحب التى سرت فى شراييني تؤلمنى وتعذبنى.

- لِمَ تتعذب يا صديقي؟

- لأننى أُخفى عنك سرًّا.

- سر.. ما هو؟

- لن يستطيع أحدنا مغادرة هذه الغرفة.. هذه هى غرفة النهاية.

- غرفة النهاية.. لا أفهم؟

- نحن فى غرفة الموت.

- لا أفهم؟

- لأننا لن نستطيع أن نغادرها وسنموت هنا سويًّا.

- ولم لا نفتح الباب ونهرب يا منصور؟

- لأننى لا أملك مفتاح الغرفة.

- خدعتنى يا منصور.
- كنت أريد أن تعلّمنى لعبة الطائر العجوز.. لأرى ابنتى.
- لا وقت.. هيا نهرب.. سنكسر الباب أو الشبّاك.. سنفعل أى شيء.
- لا أستطيع.
- لِمَ؟
- هذا الحزام الناسف المربوط حول بطنى كما ترى، لا أعرف كيف أوقفه.
- وماذا سنفعل؟
- سوف نموت هنا.. حتى لو نفَّذ أبوك مطالب الجماعةِ وأطلق سراح أميرنا، لا مهرب، الحزام متصل برقم هاتف وتستطيع الجماعة قتلنا بتفجير هذا الحزام فى أى وقتٍ شاءت، هذه هى حجرة الموت لا أحد سيغادرها.. سنموت هنا يا أمير.
جلس أمير واجمًا غير مصدقٍ بعد ما سمعه من الإرهابي منصور، هل حقًّا سيفجر الإرهابيون الحزام ويموت هنا؟ لن يرى أمه ثانيةً، لن يرى والده وأصحابه؛ أحمد وشريف وجودى؟ لن يرى "نور المعرفة".. مدرسته الجميلة ووطنه الصغير؟ ما الذى فعله لكى يقتلوه دون ذنبٍ ارتكبه؟ كيف لهؤلاء الإرهابيين أن يقتلوا أحلامه؟.. صرخ:
- ما ذنبي أنا يا منصور؟ ماذا جنيت لتقتلنى جماعة إرهابية لا تعرف الله ولا تعاليم الدين السمحة، كل أحلامى أن تكون لى مدرسة جميلة ووطن جميل، أمى.. كيف ستعيش من دونى وأنا كل أحلامها؟ أليس لكم عقول؟ هل الدين يبيح خطفى ويأمركم بقتلى؟ دين الله الذى يدعو إلى السلام والسماحة والحب تجعلونه سببًا لسفك الدم.
كان الإرهابي منصور يبتعدُ عن أمير، يجلسُ فى ركنٍ بعيد، لا يعرفُ كيف

يردُ على أسئلته. كلماتُ أمير كانت تخترقُ جلده كطلقاتِ الرصاص، كيف تحوّل من إنسانٍ بسيطٍ يحبُ النَّاس ويعيشُ فى سلامٍ.. إلى قاتلٍ غليظِ القلب؟ الجماعةُ التى انضم إليها زيَّنت له القتلَ والدمارَ.. وأقنعته أن ما يقوم به هو الجهاد.. وأن الله سيكافئه بالجنة، الجنةُ كان يعيشُ فيها هانئًا وهجرها، الجنةُ كانت مع ابنته فاطمة بوجهها المضيء، الجنةُ كانت مع زوجته الطيبةِ، وفى نظرةِ لوجه أمه. كيف غادر هذه الجنةَ وجاء إلى هذا الجحيمِ، والآن وهو ينظرُ إلى أمير.. الولد الطيبِ، أىُّ جهادٍ فى قتلِ شابٍ صغير مثله؟ أين عقله؟ هل يمكن أن يأمره دينه بهذا؟

يعودُ بيأسٍ ليسألَ نفسه: ما جدوى التفكير الآن والأمرُ لم يعد بيده؟ ربما يفجّرون الحجرةَ بمن فيها بعد قليل، لن يستطيعَ أن يمنعهم مهما قال أو فعل، هم لا يعرفون لغةَ الحوار ولا تمارين الحب التى تعلّمها من أمير، لا يعرفون سوى تمارين القسوة.

التحرُّك الآن

فرغ مهندسُ الصيانةِ من عمليةِ الكشفِ على سيارةِ الأستاذ مراد.. ليخبره أنَّه لم يجد عطلاً بالسيارةِ.. وأن السيارةَ سليمةٌ، وأخبره أن هناك مَنْ نزع كابل البطارية عمدًا.. وسط دهشةِ أعضاءِ اللجنة. بعدها تحرّك السيد مراد بسيارته وإلى جواره أعضاء اللجنة الذين تأكدوا أن الأستاذ مراد هو من افتعل عطل السيارة.. ربما لإعطاء الطلاب مزيدًا من الوقتِ فى المدرسة، تبادلوا الابتسامات بعد أن ضغط السيد مراد على دوّاسة البنزين لتنطلقَ السيارةُ مسرعةً فى اتجاه "نور المعرفة".

***

فى ذات الوقتِ كان رتلُ السياراتِ المدرّعةِ يتحرك بقيادة العميد أنور أمين حاملاً مجموعة من أفضل الضباط وأمهرهم.. ومعهم جنودُ العملياتِ الخاصةِ صوب الغرفةِ، الغرفة التى تم تحديد مكانها بمنتهى الدقةِ بعد رصد خط سيرِ السيارةِ التى نفّذت عمليةَ الاختطافِ، الهدفُ الذى أكد عليه العميد أنور أمين هو الحفاظ على حياةِ أمير وإنقاذه.
بينما يدق هاتف منصور الإرهابي كان اسم المتصل باديًا على شاشة الهاتف، عرف أن هذا هو اليوم الأخير للمهلةِ، وما بين لحظةٍ وأخرى سيأتيه الأمر ولا مفر من تنفيذه، هذه الغرفة ستسوَّى بالأرض.
بدأ القلق يسيطر عليه والألم يعتصر قلبه، كيف سيقتل هذا الصبي الوديع المسالم الذى أسدى إليه معروفًا؟ كان أمير نائمًا بينما منصور يطوفُ حوله مترددًا حزينًا قلقًا يفكر فى مصير الصبي.

العرباتُ المدرَّعةُ تشقُ طريقها وهى تسابقُ الزمنَ للوصولِ لمكان أمير، الأمُ تجلسُ فى سريرها منهارة تبكى وتصرخ.. وتتوجَّه بالدعاء إلى لله تعالى لكى ينقذ أمير، تعرف أنهم الآن فى الطريق لإنقاذه.

العميد أنور أمين يتابعُ الرتل من سيارته التى تحتلُ المقدمة، كلُّ توجيهاته لجنوده وضباطه هى الحذر من أجلِ الحفاظِ على حياةِ أمير، أصر النقيبُ حسام الجوهرى أن يكونَ معهم.. ووعد العميد أنور ألا يتدخَّل فى المهمةِ.

يستيقظ أمير ليجد منصور غارقًا فى بكاءٍ ونحيب:

- ما بك يا منصور.. هل حدث شيء؟

- سيحدثُ يا أمير، كلها سويعات أو ربما أقل وسينتهى كلُّ شيء.. جاءتنى الإشارة.

- ماذا تعنى.. لا أفهم؟

- عمّا قريب ستتحولُ الغرفة إلى كومةٍ من تراب، وسنتحولُ نحن إلى أشلاء صغيرة فى حجرة الموت هذه.

- لماذا لا نحاول الهرب منها؟

- كما قلت لك.. لن يجدى الهرب، هذا الحزام اللعين لن أستطيعَ نزعه.

- وأمى وأبي وأصحابي، هل ضاع كلُّ شيء؟ ما ذنبي أنا؟ لم أفعل مكروها فى حياتى.

احتضن منصور أمير وراح يبكى.. بينما كان أمير مذهولا.

- منصور.. هل لدى وقت كى أودع أبي وأمى وأصحابي.. ومدرستى "نور المعرفة"؟

- هل هى لعبة الطائر العجوز؟

- نعم.. وربما آخر أمرة أقوم بها.

الآن يأخذُ أمير نفسًا ليملأ صدره بالهواءِ، يتخيلُ نفسه طائرًا يطير فى السماءِ.. ذلك الطائر العجوز، قام أمير من رقدته وفتح كفَّيه وفرد ذراعيه وراح يجرى داخل الحجرةِ يقلد الطائر، كان يقاوم عاصفةً قادمةً وهو يصرخُ كى يخرج من حجرة الموت.

- ماذا يفعلُ الطائرُ حين يقابلُ عاصفةً قويةً فى السماء؟ بالتأكيد يفعلُ هكذا؛ يزووووم ويحرّك ذراعيه بقوةٍ ويركضُ.. أسرع.. أسرع ليواجه العاصفة.

ماذا يفعلُ الطائرُ حين تهدأ العاصفةُ ويكونُ الجو صافيًا؟ سيفعلُ هكذا؛ يتحرك ببطءٍ مستمتعًا بالطيران فاردًا جناحيه وهو يحركهما بهدوء.

ماذا سيشاهدُ الطائرُ وهو فى عليائه؟ سيشاهدُ عماراتٍ مرتفعة.. وجبالاً شاهقة، ويشاهدُ شمسًا فى السماء، وسيسلمُ على جميعِ من يجده من كائنات. سيودّعُ الجميعَ بقبلةِ حب.

ينظرُ عن يمينه ويساره:

- صباح الخير أيتها الشمس، أنا أمير الطائر المسالم، أحبك أيتها الشمس.. ربما لا أراك ثانية.

يتحرك أسرع داخل الحجرة، تتسارعُ أنفاسُ أمير، يبتسمُ:

- هذا منزلنا، صباح الخير يا بيتنا الجميل، قل لأبي صباح الخير، وقل لأمى صباح الخير.. قل لها أمير سيرحلُ الآن، لن يستطيعَ الطائرُ أن يغسل أطباق أمى لأساعدها كالعادة، ولن أزين لأبى بدلته العسكرية بالنياشين ليقاتل الأعداء.

يحرك جناحيه بقوةٍ.. يبدو سعيدًا مبتسمًا:

- ما هذا؟ أنا أقترب من "نور المعرفة"!! يااااه.. كم هى جميلة، وهؤلاء

هم أصحابي وأصدقائي، إنهم حزينون لغيابي، سوف أعودُ يا أصحابي، لا تقلقوا.. ذات يومٍ سترون طائرًا يحلِّقُ عاليًا فوق سماء "نور المعرفة".. وستعرفون أنَّه أنا.

يتحركُ بهدوءٍ حتى يصلَ إلى السرير.

- هكذا يقضي الطائرُ يومه.. والآن عاد إلى عشّه ليرتاح قليلاً.. وربما ليستعدَ للرحيلِ بعد أن ودَّع أحبّاءه.

كانت رحلة رائعة، ابتسم أمير فى نهايتها وعاد إلى غرفته محبوسًا، عاد إلى حجرة الموت كما كان، منصور يتطلع إليه فى ذهولٍ وهو غارقٌ فى البكاءِ والحزنِ.. بينما كان أمير يبتسمُ.

لحظات فارقة

وصلت سيارةُ السيد مراد إلى "نور المعرفة".. وهبط أعضاءُ اللجنةِ مترجلين، ومنذ أن دخلوا من باب المدرسة وهم يتابعون ما يجرى فيها، كان الأمرُ مذهلاً. قالت جودى وهى تستقبلهم:

- أهلاً بكم فى "نور المعرفة".

تنقّلت اللجنةُ بين طوابق المدرسة، رأت كيف انتظمت الدراسة فى الفصولِ الممتلئةِ بالطلابِ.. بينما قاعاتُ الأنشطةِ تعجّ بروادها، أصواتُ الغناءِ وآلات الموسيقي، قاعةُ المسرحِ والأولاد يتبارون فى الخطابةِ وإلقاءِ الشعرِ، معاملُ العلوم وتجارب الكيمياء، كلُّ شيءٍ يبدو رائعًا، أعضاءُ اللجنةِ يتبادلون ابتسامة رضا بما يجرى فى "نور المعرفة".

صرخ السيد مراد مندهشًا:

- معقول.. كيف حدث كلُّ هذا فى "نور المعرفة".. ومتى؟! أنا لا أصدق ما أراه.

همس أحمد فى أذن الأستاذ مراد:

- لأنك لا تؤمن بقدرات هذا الجيل، تظننا صغارًا يجبُ أن نبقى تحت وصايةِ الكبار.

تمهّل السيد مراد قبل أن يفصحَ عن غضبه من حديثِ أحمد:

- هل تتصورنى هكذا؟

تقدم شريف ليقف فى مواجهةِ السيد مراد:

- كل ما يعنيك أن تعودَ إلى وظيفتك.. مديرًا لنور المعرفة.

اقترب الأستاذ مراد من ابنته جودى التى كانت قلقةً مرتبكةً، لا تعرف ماذا تقول:

- وأنتِ يا ابنتى هل تظنين بأبيك نفس الظنون؟

صمتت جودى ولم تجب.. لم تستطع أن تحرك لسانها وقد رأت أباها على غير عادته حزينًا لا يصدق ما يظنه الطلاب به، أشار إلى أعضاءِ اللجنةِ ليركبوا سيارته ويغادروا "نور المعرفة"، صرخت جودى خلفه:

- بابا.. بابا.

لم يتوقف الأستاذ مراد.. بل انطلق سريعًا يقود السيارة دون أن ينظر خلفه، شعرت جودى بما ألمَّ بأبيها؛ كانت صدمته كبيرةً، هل يتخيلونه مجرد رجل يبحثُ عن مقعد الإدارة دون أن يعنيه أمر "نور المعرفة"، ولا يفكرُ فى مصلحة طلابه ولا يهتم لأمرهم، ربما لديه بعضُ الأفكارِ التى لا يتقبّلها بحكم أنَّه من جيلٍ مختلف عنهم، الفارق الزمنى بينهم كبير.. لكنّه كرجل تربوي يعرف أن لكل جيل أفكاره وطريقة تفكيره وطموحاته؛ لذلك هو يرى أن هذا الاختلاف صحّى، أبدًا لا يفكر فى منصبٍ.. بل كل ما يريده هو مصلحة الطلابِ والحفاظِ على العمليةِ التعليميةِ.

قال أحمد متأثرًا بحزن جودى:

- قسونا على أبيكِ، هذا الرجل صاحب تاريخ طويل.. لا يجب أن نعامله هكذا.

- يبدو هذا.

- وماذا سنفعل؟

- بل قل ماذا سيفعلُ هو لينتقمَ منّا؟

- هل تظن أنّه سيخالف فى تقريره ما شاهده بعينيه فى "نور المعرفة"؟

- أخشى أن يفعل هذا بنا وينهى فكرتنا وحلمنا.
- لكننى أعرف أبي.. لا يمكن أن يخالف ضميره.
- لكننا قسونا عليه، كنا أغبياء.
- حتى ولو شعر أبي بالظلم لكنه لن يكتب فى تقريره إلا الصدق.
- سنرى.

***

كان أمير مُنهكًا حين عاد من رحلةِ الطائر العجوز، العرقُ يبلل جبهته والقلقُ بادٍ على ملامحه، منصور يتطلعُ إلى الحزامِ الناسف.. ربما يفكرُ فى أمرٍ ما لم يفصح عنه. يعودُ مترددًا ليتحدث إلى أمير.. الذى يبدو أنه كفَّ عن الكلام وينتظر النهاية، لم يُجبه حين سأله عمّا رأى فى رحلته، هزَّ كتفيه وصمت.

الأمُ كانت تتألمُ وهى تنظرُ إلى هاتفها، تنتظرُ أن يهاتفها زوجها فى أى وقتٍ ليبلغها بما جرى هناك مع أمير، لا حيلة لها سوى الانتظار.. الانتظار المؤلم، كانت تتمنّى عودته فى أى وقتٍ، ستُردُّ إليها روحها، ستعود إليها حياتها التى انطفأ نورها بغياب ولدها عنها، كلما أغمضت عينيها وجدته شاخصًا أمامها، لم تطق الانتظار، أمسكت بالهاتف وطلبت زوجها الذى ردّ عليها فى هدوء:

ـ لا جديد.. نحن مازلنا فى الطريق إليه، لم نصل بعد، لا تخافى.. سيعودُ أمير سالمًا بإذن الله.

تُغلقُ الهاتفَ ودموعها تنسالُ على خديها.. فى انتظارِ الدقائق التى تمر كقطارِ البضائع الذى يسير بطيئًا، ليتها تستطيعُ الوقوف على قدميها وتسترد صحّتها حتى تكون فى انتظاره حين يعود.. ولا تجلسُ فى سريرها هكذا مريضةً تنتظرُ الأخبار لتأتيها عبر الهاتف.

فجأةً صرخ منصور بأعلى صوته:
- لابد أن تعيشَ يا أمير.. لابد أن تعيش، لابد أن تخرج من حجرة الموت هذه.. لابد من وجود حل.
ظلَّ منصور يفكرُ لبضع دقائق وهو يتلفّت يمينًا ويسارًا داخل الغرفةِ خائفًا يرتعد كأنه يخشى شيئًا يتتبّعه، ثم ثبَّت عينيه على الشبّاكِ المغلقِ بإحكامٍ، انطلق بعدها ناحية أمير.. احتضنه بقوة:
- سأُخرجك من هنا يا أمير.
كان أمير ينصت لحديث منصور غير مُصدّق:
- كيف؟
- سنجد طريقةً لتهرب من هنا وتنجو.
- وأنت.. ألن ستهرب معى؟
- لا.. سألقى مصيرى يا أمير جزاء ما فعلت، قتلت أبرياء.. أطفالا ونساء.
- هل ستبقى هنا فى حجرة الموت حتى يفجروا الحزام الناسف وتموت؟
- لا.. بل سأسبقهم، لن أنتظر قرارهم.
- لا أفهم ماذا تعنى؟
- سأفجّر هذا الحزام بنفسي، لن أنتظرهم ليفجروه هم.
- وفاطمة.. هل ستتركها وحيدةً؟
- حاولت أن أزورها لأودعها يا أمير، لعبت لعبتك كما علّمتنى وحلّقت عاليًا بطائرك الطيب الرقيق.. لكن كانت صدمتى كبيرة.
- ماذا حدث يا منصور؟
منصور كان خائفًا يتلفّت يمينًا ويسارًا:
- ما رأيته يا أمير كان بشعًا وقاسيًا ومؤلمًا، لن تصدق ما جرى معى، طائرك تحوّل إلى وحشٍ.. وجهه مُرعب ومنقاره حاد وريشه أسود،

وعيناه جمرتان من لهبٍ أحمر، وحين أردت أن أحلّقَ به ضربنى بجناحه فأوقعنى أرضًا، سقطت متألمًا فتابعنى بمنقاره.. أوجعنى، صرخ فى وجهى قائلا بكل غضب: "لا تعد لتك اللعبة ثانية، لقد خدعتنى، لم أكن أعرف أنك بتلك القسوة، هل ستقتل طفلا مثل أمير أيها القاتل اللعين؟". تراجعت خجلاً من الطائر بينما لوَّح بجناحيه بعيدًا، توارت فاطمة بوجهها عنى.. فاطمة كانت غاضبةً منّى، الطائر الوحش لم يمهلنى لأعرف سبب غضب فاطمة، حملنى إلى هنا جبرًا وألقانى فى هذه الغرفةِ وأنا أتألم وأتوجّع.

- حاول ثانيةً.

- لن أستطيع.. طائرك تحوّل إلى وحشٍ.. سيقتلنى إن حاولت ثانيةً، لقد عرف حقيقتى، وصمنى بالقاتل.

صمت منصور لدقائق.. ثم عاد بعد أن التقط أنفاسه:

- لقد فكرت فى فكرةٍ صائبةٍ.

- وما هى؟

- إذا كنت لا أستطيع أن أذهب إلى ابنتى فاطمة بعد اليوم فيمكنها أن تأتى هى إلىّ حيث أكون.

- كيف ستأتى فاطمةُ إليك؟

- لعبة الطائر العجوز يا أمير.

- ومن سيعلّمها لها؟

- أنت.

- أنا؟!

- نعم يا أمير.. ستعدنى أن تذهبَ إلى فاطمة وتعلّمها لعبةَ الطائر العجوز.. إن ساعدتك فى الهرب من هنا ونجوت.

حينها تعانق الاثنان عناقًا طويلاً كأنّه عناق الوداع. قال منصور:
- هيا بنا لنفتح هذا الشبّاك، ساعدنى يا أمير، إنه مغلقٌ بإحكام.. هيا.
بدأ الاثنان فى محاولةِ فتحِ الشبّاك المغلق، كان منصور يسابقُ الزمن، كان يُدركُ أن الوقتَ المتبقّي على الانفجارِ قليل جدًا.. وربما لا يكفى لتلك المحاولاتِ اليائسةِ، لكنّه كان يتشبث بآخرِ أملٍ لنجاة أمير من حجرة الموت.

الاقتحام

أحكم العميدُ أنور أمين الحصارَ حول الغرفةِ بقواته من كلِّ اتجاه. العيونُ كلها تتّجه ناحية غرفةِ الموت، رجالُ المفرقعات يمشّطون المكان بأجهزتهم الدقيقةِ. خبيرُ المفرقعاتِ أبلغ العميدَ أنور أن هناك متفجرات داخل الغرفةِ.. ربما يكون حزامًا ناسفًا، تسارعت دقاتُ قلبِ النقيب حسام الجوهرى.. والد أمير، نظر إلى العميد أنور الذى أمر قواته بعدمِ التقدّم فى الهجومِ على الغرفةِ حفاظًا على حياةِ أمير. القلقُ بدا على كل الوجوه، الصغيرُ فى خطرٍ حقيقي..

"يمكن أن تنفجر الغرفة فى أى وقت".

هكذا صرخ العميدُ أنور وهو يتابعُ الموقفَ، سيحتاجُ الأمر إلى تجهيزِ مجموعةٍ مدرّبةٍ على الاقتحامِ بسرعةٍ خاطفةٍ حتى تشلَّ حركةَ المختطفين قبل أن يهمّوا بتفجيرِ المكان.

مجموعةُ الاقتحام جاهزةٌ تنتظرُ قرارَ العميدِ أنور، الذى أمعن فى التفكيرِ وهو يحدّقُ ببصره ناحيةِ غرفةِ الموت، وأشار بيده لمجموعةِ الاقتحام كى تستعدَ للتحرّكِ نحو الغرفةِ، كلُّ دقيقةٍ تمر هناك خطرٌ حقيقي على حياةِ أمير، المجموعةُ أعطت إشارةَ تمامِ الاستعدادِ للعميدِ أنور.. وعليه الآن اتخاذ القرار الصعب لكى تتحرك المجموعةُ لاقتحام الغرفة، ثوانى قليلة هى الوقتُ الذى استغرقه العميد أنور لكى يعطى أمره لمجموعةِ الاقتحام بدخول غرفةِ الموت وإنقاذ أمير.

فى الأوقات الحرجةِ علينا اتخاذ القراراتِ الصعبةِ فى وقتها.. ربما لو تأخرنا ثوانٍ معدودة لتسبب ذلك فى دمارٍ كبير، وهؤلاء النّاس مدرّبون

على اتخاذِ القراراتِ الصعبةِ فى وقتها تمامًا، العميد أنور يعرفُ أن هناك خطورةً شديدةً لوجودِ متفجرات داخل الغرفةِ، لكنّه يثقُ فى كفاءةِ قواته. تحركت مجموعةُ الاقتحامِ بإشارةٍ من العميد أنور، الوجوه تترقّبُ والقلقُ كان باديًا على الجميع، النقيبِ حسام الجوهرى لا يرفع عينيه عن الغرفةِ، ولده أمير بداخلها.. وربما دقائق قليلة ويتحدّدُ مصير ابنه. أمه هناك ترقدُ فى سريرها تنتظرُ خبرًا عن ابنها، عيناها مثبّتتان على الهاتفِ وقلبها يدقُ بعنف.

مجموعةُ الاقتحامِ تحرّكت صوبَ الغرفةِ، الجميعُ يتمتم بالدعواتِ رجاء أن يعودوا سالمين ومعهم أمير. تقتربُ المجموعةُ من الغرفةِ بحرصٍ شديد حتى لا تلفت نظر أحد الإرهابيين المختطِفين وتقعُ الكارثة، انتبه العميدُ أنور فجأةً لصراخ النقيب حسام الجوهرى:

- انظر.. الشبّاك يهتز، هناك مَنْ يحاولُ فتح شبّاك الغرفة.

فى البدايةِ ظن العميد أنور أن ما يراه النقيب حسام مجرد أوهام بسبب قلقه على ابنه، لهفةُ قلبِ الأب تصوِّر له خيالات ليست موجودةً، لكن حين صرخ مرةً أخرى وأقسم للعميد أنور أنَّ ما يراه حقيقةً.. وأن شبّاك الغرفةِ يهتز ويتحركُ حركةً خفيفةً نتيجةَ الدفعِ من الداخل.. على الفور طلب العميدُ نظارةً مُكبِّرةً وضعها على عينيه وراح يتابعُ، فى أولِ الأمرِ لم ير شيئًا، لم يلحظ أىَّ حركةٍ عند الشبّاك، رفع النَّظارةَ المكبِّرةَ من على عينيه ثم أعادها مرةً أخرى كمحاولةٍ أخيرة، دقّق النظرَ.. لاحظ حركةً خفيفةً فى الشبّاك بالفعل، تابع النظرَ بدقةٍ فوجد محاولةً لفتح الشبّاك، رفع النظارةَ سريعًا وأمسك بجهازه اللاسلكى ليخاطب قائدَ مجموعةِ الاقتحام ويأمره بالتوقفِ عن التحركِ صوبَ الغرفةِ، وأمره بالاختباء فورًا لخطورة التحرك على القوّات. بدأ العميد أنور يتابعُ محاولات فتح

الشبَّاك المستمرةً، اعترته الدهشةُ.. مَنْ يا تُرى يحاولُ أن يفتحَ الشبّاكَ بهذه الطريقةِ، هل شعر الإرهابيون بتحركِ القواتِ فلجأوا لحيلةِ الهربِ من الشباك، أسئلةٌ كثيرةٌ كانت تعجُ بها رأسه ولم يجد إجابةً.. كان منصور يضربُ الشباك بكلِّ ما أوتى من قوةٍ بقطعةٍ خشبيةٍ ليتمكن من فتحه لكنَّ الشباك ظل يهتز فقد كان مغلقًا بإحكام..طلب من أمير أن يساعده، لم يكن أمامه وقت طويل يعرفُ أن الحزامَ الناسف ربما ينفجرُ فى أيةِ لحظة.. أمير تحرك وبقوةٍ، بدأ يضربُ الشباكَ بقدمه وبقبضةِ يده، صوتُ الإرتطام بدأ يعلو فى فضاء المكان وتناهى إلى سمع العميد أنور، تابع بنظارته المكبرةِ محاولات فتح الشباكِ من الداخل. لم يكن أحدٌ يدرى ما الذى يجرى داخلَ الغرفةِ.. لكنَّه بالتأكيد كان أمرًا مُريبًا، وحين شاهد العميد أنور أحد ضلف الشبّاك وقد فتحت عن آخرها بعد كسرها صرخ فى قواته كى تستعد. لم يكن يدرى أنَّه فى نفسِ اللحظةِ كان مشهد العناقُ الذى جمع بين منصور وأمير مؤلمًا، عناق الوداع الطويل، أمير أجهش بالبكاءِ، كان يعرفُ أنّها المرة الأخيرة التى سيرى فيها منصور، منصور قرّر أن ينهى هذا المشهدَ المؤلمَ الحزين، تخلّص من ذراعيّ أمير ودفعه دفعةً قويةً من الشباك ليسقط خارج غرفة الموت، أمير سقط على الأرض فى الناحية الأخرى، أصبح الآن حُرًّا، أطال النظر إلى منصور الذى طلب منه أن يعدو سريعًا ولا يلتفت وراءه.

نظر العميد أنور مندهشًا وهو يصرخُ غير مصدق:

ـ الولد قادم.. الولد بخير.. أمير يعدو نحونا.

سجد النقيبُ حسام الجوهرى شكرًا لله، دموعٌ كثيرةٌ انهمرت من عينيه وهو ينتظرُ فى لهفةٍ أن يضم ابنه إلى حضنه. أشار العميد أنور

لإحدى المجموعاتِ التى انطلقت لنجدةِ أمير.. الذى كان يجرى سريعًا. العيون توجَّهت صوب مشهدِ العناقِ بين أمير وأبيه، طال المشهدُ أمام فرحةِ أمير بعودته وسعادةِ أبيه به.

صرخ أمير فجأةً:

- منصور بالداخل سيموت.. سيموت، أنقذوا منصور.

حملت سيارةُ الإسعافِ أمير ومعه والده سريعًا إلى المستشفى للاطمئنان على صحته، كان أمير يردد اسم منصور كثيرًا وأبوه يطمئنه أن القوات هناك ستفعلُ كل ما تستطيعه، الأمُ فور علمها قامت من سريرها فرحةً واتجهت إلى المستشفى لتطمئنَ على ولدها. الأولادُ فى طابورِ الصباحِ فى "نور المعرفة" فور علمهم بخبرِ عودةِ أمير تهللوا فرحًا لعودته سالمًا. كتب أمير على صفحته:

- ألقاكم غدًا فى طابورِ الصباح.. أحبكم جميعًا.

أغلق أمير اللاب توب ونام فى سريره، نام طويلاً لأنَّه كان مُجهدًا من تلك التجربةِ الصعبةِ التى مر بها.. حتى إنَّه نسي أن يسألَ والده عمَّا جرى مع منصور، هل أنقذوه أم لقي مصيره الذى ينتظره من جماعته؟ كان مُتعبًا بحيث نام ولم يتذكر شيئًا.. لكن تظل تجربته داخل حجرة الموت تجربة لن ينساها أبدًا.

طابور الفرح

كان الجميعُ فى انتظار عودة أمير؛ أصحابه والمدرسون.. ربما الفصول والمقاعد أيضًا ستفرحُ بعودته، كانت سعادةُ الجميع غامرةً بسلامةِ أمير وعودته إلى المدرسةِ. فى الطريقِ أخبره أصحابه بكلِّ ما جرى فى غيبته وأنّهم فى انتظارِ قرار اللجنةِ المشرفةِ التى حضرت إلى المدرسةِ بصحبةِ السيد مراد عبد المنعم.. المدير السابق لنور المعرفة، كانوا يخشون من تأثيره على اللجنةِ، ويخشون من أن توصي اللجنةُ بإلغاءِ نظام "الإدارة الذاتية"، حينها سينتهى حلمُ أمير وحلم الطلاب جميعًا، كان القلقُ باديًا على الجميعِ حين رأوا الأستاذ عبد العال مدير الإدارة حاضرًا منذ الصباحِ الباكر.. حتى قبل موعدِ طابورِ الصباح، العيونُ كلُّها تتطلعُ إليه وهو يقفُ مبتسمًا، فى الدقائق القادمةِ سيتحدّدُ مصير "نور المعرفة". سأل السيد عبد العال عن الأستاذ مراد عبد المنعم فأرسلوا فى استدعائه من مكتبه بالطابقِ الثالثِ، أثار ذلك ضيق البعضِ، قال شريف منزعجًا:

- طالما أرسل إلى الأستاذ مراد فالمعنى واضح.

جودى بحزن: فى اليوم الذى نحتفلُ فيه بعودةِ أمير ينتهى حلمنا.

نظر إليهما أحمد باطمئنان: لا يجبُ أن نستبقَ النتائجَ ونتعجّل فى الحكمِ على الأمور.

كان أمير منشغلاً عن حديث أصحابه بأمرٍ آخر، حين تذكّر فاطمة فجأةً لام نفسه.. كيف نسي فاطمة؟ لقد وعد منصور أن يذهب إليها. منصور الذى نجا بأعجوبةٍ حين استطاعت القواتُ نزع الحزام الناسف فى الوقتِ المناسبِ، نجا منصور بعد أن أخرج أمير من غرفة الموت، هذا ما حكاه فى التحقيقاتِ التى استمرت معه وقتًا طويلاً، العميد أنور لم

يترك شيئًا لم يسأل عنه، قال له العميد أنور فى نهايةِ التحقيق:
- تبدو متعاطفًا مع الإرهابي منصور.
- بل حزين من أجل مصيره.
- لا تخف.. هو الآن يخضعُ للتحقيقات وسيحاكم على جرائمه الإرهابية.
يعلم أمير أن مصير منصور سيكون السجن وحيدًا بعيدًا عن ابنته فاطمة عقابًا له على جرائمه التى ارتكبها فى حق وطنه والناس، لكن لا يجب أن ينسى وعده، سيذهبُ إلى فاطمةِ، سيحكى لها قصةَ الطائر العجوز. همس فى أذن شريف:
- فى عُطلةِ منتصف العام سنذهبُ جميعًا للصعيد.
- هل هى رحلةٌ للاستجمام والفرح؟
- سنذهبُ لبيتِ فاطمة؟
- ومَنْ فاطمة؟
-ـ سأحكى لكم كلَّ شىء فى نهايةِ اليوم.
كفّ الصديقان عن المناجاةِ بعد أن أخذ السيد عبد العال مدير الإدارة الميكرفون وقال:
- أنا سعيد اليوم لعودةِ أمير إلى "نور المعرفة" سالمًا.
تهلّل الأولادُ تصفيقًا وفرحًا، وصعد أمير إلى جوارِ مدير الإدارةِ الذى دعاه ليحيي زملائه.
أكمل السيد عبدالعال حديثه فشكر الأستاذ مراد عبد المنعم الذى ساهم فى إنجاحِ تجربةِ "نور المعرفة". نظر الأولادُ إلى بعضهم وقد ارتسمت علاماتُ التعجّبِ على وجوههم. أكمل مدير الإدارة حديثه:
- لا تندهشوا، الحقيقيةُ التى تخفى عليكم جميعًا أنَّه لولا عطل سيارة الأستاذ مراد عبد المنعم لما نجحت التجربة.

صاح شريف ضاحكًا: كان يجب أن نشكر السيارة أولا.
ضحك الأولاد.. وصافح مدير الإدارة الأستاذ مراد، وفى نهايةِ حديثه قال:
- أهنئكم على نجاحِ تجربة نظام "الإدارة الذاتية" وسعيد أن أخبركم أن تقرير اللجنة أوصي بإبقاء التجربة.
لم يصدّق الأولادُ، فرحوا لنجاحِ تجربتهم، هلّلوا من السعادةِ بعد أن تحقّق حلمهم، الفرحة كانت غامرةً فى "نور المعرفة" بعد أن عرف الأصحابُ فعله الأستاذ مراد عبد المنعم، انطلقوا إلى مكتبه بالطابقِ الثالثِ، طرقوا البابَ، كان يجلس حزينًا خلف مكتبه.
قال شريف بلهجةٍ ساخرة:
- لم نحضر لنشكرك.. جئنا لنشكر سيارتك التى تعاطفت معنا.
ضحك الأستاذ مراد وضم الأولاد إلى صدره سعيدًا. الجميعُ قضوا يومًا فى سعادةٍ بنجاحِ تجربتهم الجديدةِ.
أمير فكر طويلاً وقرر أخيرًا أن يفعلها؛ فتح اللاب توب ونشر "بوست" جديد: "استعدوا غدًا للعبةِ الطائر العجوز".
بعضهم تصوّر أن أمير يحكى عن لعبةٍ إلكترونية جديدةٍ من ألعاب الكمبيوتر، وراح يبحث عنها على محرك البحث "جوجل".. لكنهم لم يعثروا على لعبةٍ بهذا الاسمِ، والبعضُ ظنّها كتابًا وراح يبحث فى قائمةِ القصصِ والحكاياتِ.. لكنهم لم يعثروا على كتابٍ بهذا الاسم. يضحك أمير على فضول زملائه وكيف أنهم فشلوا فى الوصولِ إلى نتيجةٍ.
فى اليوم التالى وقف أمير فى طابور الصباح وقال:
- لنبدأ يا أصدقائي لعبتنا، ردّدوا معى: "أيها الطائر العجوز.. يا ساكن أرض الفيروز.. احملنى إلى أرضِ الحبِ وأعياد النيروز".
الآن حرّكوا أجنحتكم وحلّقوا يا أصدقائي.

جوائز حصل عليها الكاتب

1- جائزة الشارقة- عن رواية "آخر سلالة عائلة البحار"- 2004.
2- جائزة مجلة الصدى الإمارتية- عن رواية "حارس السور"- 2003.
3- جائزة وزارة الثقافة، مجلة الثقافة الجديدة- عن رواية "مثل قطعة كريستال"- 2009.
4- جائزة اتحاد كتاب مصر- عن رواية "الأقدس"- 2012.
5- جائزة أفضل عمل روائي في النشر الإقليمي- عن رواية "سماء الحضرة"- 2014.
6- جائزة نادى القصة في الرواية- "آخر سلالة عائلة البحار"- 2003.
7- جائزة نادى القصة في الرواية- "عذابات رجل المنفي"- 2005.
8- جائزة أدب الحرب من مجلة النصر- الشئون المعنوية للقوات المسلحة- لعدة سنوات فى الكتابة للطفل.
9- جائزة المركز القومي لثقافة الطفل- عن مسرحية "الثعلب ملكا"- 1997.
10- جائزة النيل (سوزان مبارك سابقًا) لأدب الطفل عام 1998- المركز الأول عن مسرحية "شادى فى دنيا الحواديت".
11- جائزة الهيئة العربية للمسرح بدولة الإمارات العربية- عن مسرحية "سلسبيل".. للأطفال- عام 2009.
12- جائزة الشارقة في أدب الطفل- عن ديوان "عصفور وحرف ووطن"- عام 2007.

13- جائزة مجلة "تراث" الإماراتية- لعدة سنوات.
14- منحة لنيل جائزة الدولة فى الإبداع الفنى في أكاديمية مصر في روما.
15- جائزة دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع بالكويت- عن ديوان "لك العشق والنيل لي"- عام 1996.
16- درع الهيئة العامة لقصور الثقافة- وزارة الثقافة- تقديرًا لدوره في الحياة الثقافية ولمساهماته في تنظيم مؤتمر أدباء مصر على مدى دورتين.
17- حصل على عديد من شهادات التقدير من جهات ثقافية وأدبية وتم تكريمه في عديد من المؤتمرات.
18- تكريم المسابقة الدولية في المونودراما عن مسرحية "البرواز"- هيئة الفجيرة للثقافة- عام 2009.

تناول أعماله عدد كبير من النقاد المصريين والعرب وصدرت دراسات نقدية عن أعماله من أهمها:

رسالة ماجستير بكلية آداب بنى سويف بعنوان: "روايات أحمد قرني محمد.. دراسة فى بنية السرد"، للباحث أحمد عبد الله أحمد تتناول روايات "حارس السور"- "الأقدس"- "سماء الحضرة"- "آخر سلالة عائلة البحار".-